

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية العلوم الإجتماعية
قسم الفلسفة



النقد المعرفي للحضارة الغربية
عبد الوهاب المسيري - أنموذجا -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في الفلسفة
تخصص : فلسفة عربية إسلامية

إشراف الدكتور :
د. خرشى عبد الرحمان

إعداد الطالبة :
➤ بن معاش سعيدة

السنة الجامعية
2019/2018 م

شكر و تقدير

قال تعالى: { وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا

ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين}. سورة النمل، الآية (19)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله " (رواه أحمد والترمذي)

أتوجه بخالص الشكر والعرفان والامتنان للأستاذ الفاضل: عبد الرحمان خرشي على مجهوداته وملاحظاته القيمة

للإتمام هذا العمل، ولم يقصر بنصحه وارشاداته وتوجيهاته، فلا يسعني سوى أن أقدم له كل التحية والتقدير و

الاحترام.

كما يطيب لي أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والثناء والتقدير لأساتذة قسم الفلسفة على ما يبذلونه من جهود

لإعلاء راية الفلسفة في بلدتنا وفي الجزائر عامة.

و الشكر موصول غير مقطوع لكل من مَدَّ يد العون من قريب أو بعيد، وساهم و لو بكلمة تحفيزية لإنجاز هذه

الرسالة.

2019

والله ولي التوفيق

اهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

"يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" صدق الله العظيم.

"قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون" صدق الله العظيم

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا أن فضل الله علينا

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

إلى أمي التي بحسن رعايتها وفيض حنانها سما حب الخير في قلبي، وتغنى به لساني دوما.

إلى أبي الذي وهبني أول قلم ملكته في طفولتي، ووضعي على طريق التعلم وحبّه إلي وأصبحت بفضلته

أخوض غمار الحياة عن علم.

دعائي من القلب خالصا أن يجزيهما الله عني خير جزاء، ويرحمهما كما ربياني في الصغر.

إلى من أنهل من نبع تجاربهما، ويحلو لي السمر بجوارهما، رغم تقدم العمر بهم لازالت الحياة مفعمة بالأمل

في عينيهما، جدي وجدتي حفظهما الله وشفاهما و أطال الله في عمرهما.

إلى من يفخر اللسان بذكرهم، وتعجز الكلمات عن وصفهم، ويجفّ مداد القلم في التعبير عنهم إخوتي:

مداني، ميهوب، إبراهيم، أبو بكر وسليمان.

إلى أختي حبيبتي الفؤاد ورفيقتي درب الحياة: عتيقة و زينب.

إلى من قال فيهم الشاعر شوقي:

قم للمعلم وفه التبجيلا.....كاد المعلم أن يكون رسولا.

ولو أنشدت ألف قصيدة لوجدتها في حقكم لن تفي، وإن قلت شكرا فشكري لن يكفيكم.

إليكم أزفّ أندى وأجمل التحيات حيث ما كنتم معلميّ الفاضلين: أحمد سويسى و علال قمام.

إلى من سرن معي بخطى الحب والوفاء، وجمع بيننا الإخاء، أحلى وأبهى الدرر التي لا تشبع العين بلقائهنّ،

ولا الفؤاد يصبر على فراقهنّ: مروة، خيرة، سهام، مليكة شمس النهار، خديجة، سارة، خوله، أسماء.

اكتسح النموذج المعرفي الغربي العالم بأسره، وهيمن عليه وانعكس على المسلمين و العرب، ولم يعوا خطورة الفكر المادي و الفلسفات المادية التي انتشرت، فكان من بين المثقفين العرب المعاصرين عبد الوهاب المسيري الذي اشتغل بنقد الفكر الغربي ولم يقبله دون تحليل و تمحيص ومن العوامل التي ساهمت في مساعدته على ذلك تبنيه الماركسية، واحتكاكه بشكل مباشر مع المجتمع الغربي و الحضارة الغربية عن قرب.

فقد تعرضنا لترجمة حياة المسيري و مرجعته الفكرية، وإلى اهم الشخصيات التي تأثر بها ثم انتقلنا إلى عموميات الفكر المسيري أو فلسفته بشكل عام، وبعد ذلك الحداثة الغربية التي أخذت الحيز الأكبر من مشروع المسيري، ثم تطرقنا للفلسفة المادية وسر جاذبيتها بعد انتشارها بشكل رهيب في العالم و إلى تحديد أقسامهما ثم إلى أهم تحليلاتها كالدروينية التي تعبر عن الرؤية المادية، ثم العلمانية الشاملة التي فصلت الانسان عن قيمه التي اعتبرها المسيري تطبيق للعلمانية، فهما وجهان لعملة واحدة وعن سر جاذبيتها و انتشارها فيرجعه إلى مخاطبة الانسان في نوازع المادية و ايقاظها، وبالتالي يصبح اسيرا لشهواته و لذاته التي لا يوجد رادعا لها أو حدا يوقفها.

وفيما يتعلق بالفصل الثالث، تناولنا نقد المسيري للحضارة الغربية من خلال نموذجها المعرفي وأبرز سماته وخصائصه مروراً بحلوليه الكمونية التي تتضمن في طياتها فكراً مادياً بحثاً مع الإشارة إلى الصهيونية التي يعتبرها المسيري حركة استيطانية احلالية استعمارية، وحاول تفكيك شيفرة خطابها ومفاهيمها إلى أبسط ما يمكن حتى يستطيع القارئ العربي فهم ايدولوجيتها الفكرية، ثم أشرنا إلى التحيز الذي اعتبره المسيري من صميم المعطى الانساني و مرتبط بإنسانيته، إضافة إلى أهم القضايا الاساسية التي تطرق لها المسيري هي قضية المصطلح الذي اعتبره أنه مرتبط اشد الارتباط بالتحيز، بل و التحيز مكون أساسي فيه، و لتجاوز المشروع الغربي اقترح مشروعاً بديلاً يحمل رؤية انسانية غير مادية نابعة من الإسلام، أي دعوة صريحة لإقامة نهضة عربية اسلامية من شأنها ان تناهض نماذج الحضارة الغربية، ولكن لم يكتمل مشروعه بعد.



فہرس



الصفحة	فهرس المحتويات
.....	الإهداء
.....	الشكر و العرفان
.....	الفهرس
.....	ملخص الدراسة
أ	مقدمة
الفصل التمهيدي	
4	تمهيد
4	إشكالية الدراسة
5	أهمية الدراسة
6	أسباب إختيار الموضوع
7	المفاهيم المفتاحية والمصطلحات الأساسية
10	مناهج المتبعة
10	صعوبات الدراسة
11	الدراسات السابق
12	أهداف الدراسة
13	خلاصة الفصل
الفصل الأول: سيرة ومسيرة عبد الوهاب المسيري	
المبحث الأول : سيرة ومسيرة عبد الوهاب المسيري	
15	تمهيد
16	1-1 المولد والنشأة
18	2-1 التحصيل العلمي والمسار الأكاديمي
21	3-1 المرجعية الفكرية ومؤلفاته

المبحث الثاني: الأبعاد المنهجية في فلسفة المسيري	
29	1-2 مفهوم النظرة إلى العالم
30	2-2 الاعتماد على الصور والنماذج المجازية في العالم
31	3-2 سمة الكلية في المنهج العلمي
32	4-2 نحت المصطلحات و المفاهيم
المبحث الثالث: الحداثة الغربية في فكر المسيري	
34	1-3 نشأة وتاريخ الحداثة الغربية
35	2-3 الحداثة الغربية برؤية مسيرية
36	3-3 مراحل تشكل الحداثة الغربية
41	4-3 مجالات الحداثة الغربية
43	5-3 تجليات الحداثة الغربية علي واقع الحياة اليومية
46	خلاصة
الفصل الثاني: الانسان والمادة في فلسفة المسيري.	
48	تمهيد
المبحث الأول: المرجعيات النهائية بنظرة المسيري.	
49	المرجعية النهائية المتجاوزة.
50	التوحيد.
51	ثنائية الخالق و المخلوقات.
52	الثنائية الفضفاضة
53	المسافة وحيز الإنسانية المشتركة.
54	القداسة.
55	النزعة الربانية.
56	المرجعية النهائية الكامنة.
57	النظم الإنسانية الهيومانية.

57	الطبيعة و وحدة الوجود.
58	الوثنية.
58	الشائية الصلبة.
59	النزعة الجنينية .
المبحث الثاني: الفلسفة المادية وسر جاذبيتها.	
60	مفهوم الفلسفة المادية.
61	أسس الفلسفة المادية.
63	أقسام الفلسفة المادية.
64	مظاهر الفلسفة المادية.
67	اللحظات نماذجية الكبرى .
68	سر جاذبيتها.
المبحث الثالث: الظاهرة الإنسانية و سماتها.	
70	الظاهرة الإنسانية.
71	سماتها.
74	حركة التمرکز حول الأثنى.
78	خلاصة
الفصل الثالث : نقد الأسس المعرفية للحضارة الغربية	
80	تمهيد:
المبحث الأول : النموذج المعرفي الغربي في نظر المسيري	
81	مفهوم النموذج المعرفي الغربي
82	سمات النموذج في تصور المسيري
84	خصائص نموذج الحضارة الغربية

المبحث الثاني: الحلولية الكمونية في المنظومة الغربية	
88	الحلولية الكمونية المادية
89	الحلولية الصلبة والحلولية السائلة
91	الحلولية و الصهيونية
المبحث الثالث: التحيز و المصطلح	
96	مفهوم التحيز
97	سمات التحيز
98	أنواع التحيز
100	التحيز في المصطلح
102	المبحث الرابع: نقد نقد المسيري
108	خلاصة
110	خاتمة



مقدمة



البحث عن الحقيقة سمة الإنسان منذ الأزل لسعي نحو آفاق جديدة تسهل له اكتشاف المجهول وتجعله يغوص فيه بهدف تحقيق السعادة و التقدم فقد كان الإنسان الغربي يعيش في ظل الخرافات و الأساطير و الأوهام الفكرية التي كانت تحكمه و تسيطر عليه و تغيب عقله عن المعرفة العلمية الحقة وتبعده عن جانب المعرفة، ولكن ماهي إلا عقود من الظلام و الانحطاط و التخلف الذي عرفه الغرب، حتى ظهرت الثورات العلمية بشكل كبير قوامها العقل و العلم ساهمت في اجتثاث الحضارة الغربية من أنقاض الجهل و التخلف و السير بالإنسان الغربي نحو ما كان يأمله و يطمح إليه بخطى ثابتة وانتهى به الأمر بعد قرون محدودة إلى تأليه العقل و جعله سلطان العلم و المعرفة ومن التقدم الذي ينشده مبدأ و مقصداً وشعاراً، وهذا لم يكتفي به ولم يقف عنده بل عمد إلى إيصال كل ما أنجزه و ما توصل إليه من علوم و معارف إلى نشرها عبر أرجاء المعمورة بطرق مختلفة تارة استعماراً و انتداباً وتارة أخرى حملات علمية واستلاب و أحياناً موافق دولية وعلمية ومع التطور و التقدم التكنولوجي الذي جعل العالم أشبه بقرية كونية صغيرة، يستطيع فيها الإنسان الغربي بحضارته أن يصل ويحول فيها دون قيود تحكمه بقوته وسلطته العلمية و المعرفية مما أثار في نفوس بقية الشعوب و الحضارات الأخرى حالة من الاستنفار لدى النخبة من مثقفيها و مفكريها الذين حاولوا التصدي لها و مواجهة ما أتت به كعبد الوهاب المسيري الذي اهتم بالحضارة الغربية وعلومها وعمل على نقد أسسها و إثبات أبعادها المعرفية و الأيديولوجية و افتقارها للبعد الإنساني الذي أهمل في ضوء ما توصل إليه من تطور هائل في العلم و التكنولوجيا فقد حاول المسيري إدراك البعد أو الغاية التي يهدف إليها النموذج الغربي من خلال نشر ثقافته و معتقداته ومحاولة فرضها على بقية الشعوب و الحضارات الأخرى .

وبناء على الخطة فقد تم تقسيمها إلى ثلاث فصول، مع الفصل التمهيدي للدراسة، إضافة إلى الخاتمة فلقد استعرضنا في الفصل الأول ترجمة حياة المسيري و إبراز مرجعيته الفكرية وإلى ما جاء في فلسفته بشكل مختصر حول الصور و النماذج المجازية و الإشارة إلى كثرة وتعدد المصطلحات و المفاهيم التي برزت في فكره بشكل كبير .



أما الفصل الثاني فقد تطرقنا فيه إلى أهم المرجعيات الكامنة و المتجاوزة، ثم إلى الفلسفة المادية من حيث المفهوم و إبراز أسسها و أقسامها المادية القديمة و المادية الجديدة ثم التحليلات التي ظهرت في الداروينية الاجتماعية و العلمانية الشاملة و الامبريالية وبعد ذلك حاولت الكشف عن سر جاذبية الفلسفة المادية على المستوى المعرفي الاستمولوجي و المستوى النفسي السيكلولوجي.

والمفصل الثالث خصصناه لأهم انتقادات المسيحي الموجه صوب الحضارة الغربية حول النموذج المعرفي الغربي و الحلولية الكمونية المادية و الواحدة مع إبراز علاقتها بالصهيونية بشكل مختصر من عوائق وكذلك توقفنا عند أهم النقاط التي وجهت لنقد المسيحي، و تطرقنا أيضا إلى ملامح المشروع البديل الذي سعى لتأسيسه و لم يكتمل.

وفي الأخير نرجو أن يكون هذا البحث يرقى إلى مستوى التطلعات المرجوة من القارئ ولو بفكرة بسيطة عن النقد المعرفي الموجه نحو الحضارة الغربية من قبل عبد الوهاب المسيحي.

تمهيد:

تعتبر دراستنا لنقد النماذج المعرفية الغربية كجزء من دراسات تبحث في المعارف الغربية ونقدها، كما نقدها المسيري وبين أوجه التناقض والاختلاف فيها والإحاطة بأكبر قدر من المعارف الغرب ونقدها عبر الإشكالية التي تطرح الآليات والطرق التي اعتمد عليها في نقده للحضارة الغربية و النموذج المتبع في ذلك، بالإضافة لوجود دوافع جعلتنا نركز على موضوع النقد المعرفي عند المسيري نظرا لاحتكاكه بالإنسان الغربي والحضارة الغربية بشكل كبير وغوصه في تلك المعارف بهدف تحليلها ونقدها والتوعية بمدى خطورة النموذج الغربي وتوسعه وخلوه من الإنسانية التي يفتقدها بشكل كبير، و التي جسّلت أهداف الدراسة في تبيان الجانب الإنساني وصورته في إعادة بناء الحضارة الغربية بمختلف معارفها على أساس صحيح و قويم.

وسنناقش المفاهيم و المصطلحات المفتاحية لدراستنا هي: النقد، النموذج، المادية، الحضارة

الغربية

أولاً: الإشكالية

إنّ الواقع الغربي يعيش في ظل صراعات و نزاعات من صميم الوجود الإنساني بسبب نظريته المتغيرة التي طغت نحو رؤيته للغير وأسهمت بشكل كبير في الانفصال الإنسان الغربي عن القيمة وجعلته مجرد كائن حي حبيس التطور الآلي و التكنولوجي الذي يعرفه ولطّجده من كل القيم و المبادئ الأخلاقية و الإنسانية الموجودة بداخله مما جعل مهمّة التمييز بين ما هو خير وما هو شر صعب على الغربية وحتى بين الإنسان و الطبيعة أو الإنسان و المادة كونها أضحت النظرة المادية للأشياء هي المسيطرة على عقل الإنسان الغربي وتوجّهه فجذّته من القيم الإنسانية و الأخلاقية ممّا أّدى إلى بروز وهيمنة العقل المادي البحث على المعارف الغربية وهذا ما جعل غيرها ينقدها بشكل لاذع و يحاول البحث غي الجانب السلبي

و تبياناه كالمفكر عبد الوهاب المسيري الذي ساعده احتكاكه بالغرب في نقد المعارف الغربية بشكل كبير و السبب في ذلك غوصه في عمق الحضارة الغربية و الاحتكاك بها عن قرب.

وهذا ما جعلنا نتعرض للإشكالية التالية:

أين تكمن الآليات و المنطلقات الفكرية التي استند عليها المسيري في نقده للحضارة الغربية على الصعيد المعرفي؟

وقد تفرعت أسئلة عن الإشكالية المطروحة:

- ما هي المرجعيات الفكرية التي لعبد الوهاب المسيري وخلفياته المنهجية في رؤية الحداثة الغربية؟

هل الإنسان قادر على تجاوز حدود المادة؟ ومن أين يستمد معياره؟

- فيما يكمن النموذج المعرفي الغربي بكافة تحيزاته و ارتباطه بالصهيونية؟ وما هو النموذج البديل؟

أهمية الدراسة:

تجلت أهمية البحث في تسليط الضوء على أهم النقائص التي تعاني منها الحضارة الغربية، كما تكشف لنا الدراسة عن غياب البعد الإنساني في هذه الحضارة، بل وتحسد الاعتماد الكلي على المادة من خلال ما تناوله المسيري في الفلسفة المادية، والذي انصب اهتمامه على نقد الحضارة الغربية بمناهجها و أسسها المعرفية، وأولى تركيزه على نقد النموذج المعرفي الغربي في بنائه و كل ما يتعلق بالإيديولوجيا الغربية إضافة إلى إخفاقات عديدة في تفسير الظاهرة الإنسانية مع محاولته اقتراح مشروع معرفي بديل من شأنه أن يعيد للإنسان خصوصيته ويفتح المجال لدراسات قد تأتي بعده تحاول الكشف عن مواطن الضعف في الحضارة الغربية.

ركز المسيري طيلة مسيرته الفكرية على نقد الغرب و الانشغال على فكره في جميع الجوانب و الإحاطة بها وهذا ما يعطي أهمية قصوى لدراستنا، كونها تحيط بأكبر قدر من المعارف الغربية التي عمل المسيري على نقدها وتبيان النقائص الموجودة فيها.

أسباب اختيار الموضوع:

وقع اختيارنا على هذا الموضوع لأسباب ذاتية و أخرى موضوعية:

- الأسباب الموضوعية:

قوة الحضارة الغربية و اكتساحها العالم بمختلف معارفها و نماذجها.

انتشار فكر و ثقافة الإنسان الغربي و هيمنتها على الطرف الآخر.

الأثر الذي خلفته الدراسات النقدية لعبد الوهاب المسيري في معارف الحضارة الغربية و علومها

- الأسباب الذاتية:

فضول علمي في معرفة الدرجة التي وصلت إليها قداسة الإنسان في ظل التطور العلمي و التكنولوجي الذي يشهده.

الانبهار بالمجتمع الغربي في مختلف علومه و معارفه ممّا دفعنا للبحث و الاطلاع أكثر على أهم النخب من المثقفين و المفكرين الذين احتكوا بالحضارة الغربية عن قرب مثل عبد الوهاب المسيري في الغرب و إرساء قواعد لمشروع بديل.

المفاهيم المفتاحية والمصطلحات الأساسية:

إن البحث في مفهوم النقد واستنباط معناه اللغوي و الاصطلاحي سيوضح أبعاده ومفاهيمه والغاية المنشودة منه.

المستوى اللغوي:

يقدم الفيروز الآبادي في قاموس المحيط النقد بأزه "النَّقد: خِلافُ النَّسيئةِ، وتمييز الدراهم وغيرها، كالتَّناقِدِ والإِنْتِقَادِ والتَّنْقِذِ وإعطاء النقد، والنقر بالإصبع في الجُوزِ، و أن يضرب الطائر بمنقاره، أي: بمنقاره في الفخ، و الوازن من الدراهم، و اختلاف النظر نحو الشيء و لدغ الحية، و بالكسر: البطيء الشباب، القليل اللحم، ويضم بضممتين و بالتحريك: ضرب من الشجر واحدته بهاء، و بالتحريك: جنس من الفم قبائح الشكل، وراعيه، نُقَّاد، ج وَنَقَادَة، بكسرهما، و تَكَسَّرَ الضرس و ائْتِ كَاله، و تَقَشَّرَ الحافِر، و من الصبيان القميء الذي لا يكاد يشب. و أنقذ: كأحمد، وقد تدخل عليه أل: القنْذُ.¹ وبات بليل أنقذ" لأنه لا ينام الليل كله.

المستوى الاصطلاحي:

هو الذي لا يسلم بأي تقرير دون تساؤل أو الأمر عن قيمة هذا التقرير، سواء من حيث مضمونه أو من حيث مصدره.

فالنقد هو النظر في قيمة الشيء وإعادة تمحيصه و تقييمه مع الالتزام بالحياد و الموضوعية من أجل الوصول إلى ما هو أفضل وأحسن من سابقه وعلى سبيل المثال نجد النقد المعرفي الذي يُعنى بضرورة إعادة النظر في إمكانية وشروط المعرفة وحدودها أي عدم قبول أي قول أو رأي قبل تمحيصه جيداً

النموذج: لغة و اصطلاحا

¹ الفيروز الآبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط8، دب، 2005، ص322

لغة: بفتح النون: مثَالُ الشيء مَبَّ، ومن الأَنُمُذَجَ لحن.

ناج نوجا: رأى بعمله، والنَّوْجَةُ النُّوبَةُ عَةُ من الرِّيح.¹

المستوى الاصطلاحي:

مثال الشيء و يطلق على المعاني المتصورة، وبخاصة على المثل الأفلاطونية القائمة بذاتها، و النموذج أيضا هو المثال الذي تحدث العلة الفاعلة معلولها على صورته.

و مع ذلك فلكل نموذج معايير تختلف فيما بينها من نموذج لآخر، من فروض و مسلمات و معتقدات التي تشكل البنية الأساسية لكل نموذج ممّا جعل كل بيئة حضارية وكل مجتمع يتفرد بنموذج معين ليس كبقية النماذج الأخرى.

المادية: لغة و اصطلاحا

لغة: كل شيء يكون مددا لغيره.

المستوى الاصطلاحي:

بوجه عام يقصد بالمادية مذهب يرد كل شيء إلى المادة، فهي أصل ومبدأ أول، به دون غيره تفسر الموجودات، وقد عرف من قديم و بدت آثاره في قراءات فلسفية و سياسية مختلفة، ويقابل الروحية.

أما سيكولوجيا، فهو مذهب يرد أحوال الشعور إلى الظواهر الفسيولوجية

أخلاقيا، نزعة إلى أنّ الخيرات المادية وحدها هي التي يجدر بالإنسان أن يسعى وراءها.²

¹المرجع نفسه، ص208

²إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1960، ص181

كما تعني المادية في الاصطلاح الحديث أن المادة هي الموجود الحقيقي الوحيد و الأصل وكل ما عداه فرع بها يفسر العقل و الروح و الحياة الإنسانية و كل ما يحتاج إلى تفسير، إذ لا شيء فوقها على الإطلاق، وهي أزلية لا أول لها، وأبدية لا آخر لآخرها.¹

الحضارة: لغة و اصطلاحاً

لغة:

كما جاء في المعجم الوسيط: ضد البداوة وهي تمثل مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني، و مظاهرها الرقي و التقدم العلمي والفني و الأدبي و الاجتماعي و يراد بالحضر المدن و القرى المزدهرة.²

المستوى الاصطلاحي:

ما هي إلا مجموعة ظواهر مركبة ذات طبيعة قابلة للتناقل تتسم ببسمة دينية، أخلاقية، جمالية فنية، تقنية أو علمية ومشاركة بين كل الأجزاء في مجتمع عريض أو في عدة مجتمعات مترابطة.³

فالحضارة هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول لتلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية.⁴

فمفهوم الحضارة من أكثر المفاهيم صعوبة في التحديد وذلك بفعل التطور الدلالي الذي حظي به عبر التاريخ، وأيضاً يرجع إلى الاختلاف إلى الخلفية الفكرية لصاحب كل تعريف وهذا ما اتضح لنا من خلال ما طرحه المسييري فهو يرى أن الحضارة الغربية حالة طبيعية، صفة لصيقة بطبيعة الإنسان، ومن ينحرف عنها فهو إنسان غير طبيعي وشاذ.

¹ محمد جواد مغنية: مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار جواد، دط، لبنان، 2007، ص111

² احمد الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط1، القاهرة، 1960، ص181

³ أندري لالاند: الموسوعة الفلسفية، م1، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 2001، ص172

⁴ حسين مؤنس: الحضارة، عالم المعرفة، ط1، الكويت، 1978، ص13

و نحن نرى بأن الحضارة الغربية هي كل ما يطلبه الناس، تجسّد منتهى أشواقهم و أحلامهم، فهي في واقع الأمر تناسب حالتهم الطبيعية.

مناهج الدراسة:

ولتحقيق الهدف الذي نرجوه من البحث فقد اعتمدنا المنهج التاريخي عند تعرضنا لسيرة عبد الوهاب المسيري، إضافة للمنهج التحليلي في عرض آراء و أقوال عبد الوهاب المسيري، و المنهج النقدي في عرض رؤيته أو نظريته النقدية اتجاه الحضارة الغربية.

صعوبات الدراسة:

اتساع الموضوع و شموليته جعلنا أمام عائق تحديد الأساسيات التي ركز عليها المسيري في نقده للحضارة الغربية، إضافة لطابع التكرار الذي غلب على أعماله، وأيضاً عائق الربط بين أفكاره في تشكيل خطة واضحة المعالم و قد يبدو ذلك في تكرار بعض الأفكار طاغ على الدراسة، و الأكثر صعوبة هو فهم الملف الصهيوني خصوصاً مع تشعب الأفكار وعمق الطرح و إبراز علاقته بالحضارة الغربية، ومع النظرة المسبقة لدينا حول الصهيونية شكلت صعوبة في تحديد النسق الفكري العام للمسيري خاصة وأنه أثناء دراسة للظريات و المواقف يبدي آراء حول القضية المناقشة و المطروحة ممّا وقف عائقاً أمامنا في ضبط خطة مناسبة تتماشى و طبيعة الدراسة.

وقوفنا أمام ترسانة من المفاهيم و المصطلحات شكلت لنا صعوبة في تحديدها و ضبطها بما يتوافق أو يتناسب مع طبيعة الموضوع المدروس.

الدراسات السابقة:

1_الرؤية النقدية للمسيري في إشكالية التحيز للحضارة الغربية-الحداثة نموذجاً_

مذكرة لنيل شهادة الماجستير غي الفلسفة

إعداد الطالبة برتيمي وفاء، أشرف عليها الدكتور محمد نور الدين حبابي

جامعة الجزائر - كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية - قسم الفلسفة

السنة الجامعية: 2009/2008

الإشكالية الرئيسة: هل الحادثة في نظر المسيري مفهوم غربي بحث؟ أم أنه قابل للأقلمة و التبيئة؟

أهم النتائج المتوصل إليها من خلال الدراسة:

المسيري أكد على أن الحادثة مفهوم غربي محض يقوم على مقولات فكرية ظهرت في سياق غربي و رغم ذلك فمفهوم الحادثة يمكن أن نؤقلمه مع العالم العربي و الإسلامي المعاصر بشرط أن تكون المنطلقات و الأسس للحادثة متوافقة مع الدين الإسلامي و مبادئه.

وحيثّ لدا لو تناولت الدراسة آليات تكييف الحادثة على طبيعة المجتمع العربي و الإسلامي وإضفاء صبغة إسلامية عليها.

2- الرؤية التوحيدية عند عبد الوهاب المسيري :

مذكرة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

اعداد الطالب بن وذنين مراد - من اشراف بوراس يوسف -

جامعة محمد بوضياف - كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية - قسم الفلسفة -

السنة الجامعية: 2017/2016

الإشكالية الرئيسة: هل استطاع المسيري أن يتجاوز المنظور المائي بمشروعه التوحيدي البديل؟

أهم نتائج الدراسة:

رفض المسيحي منطلقات الفكر الغربي القائمة على الماديّة و على الجوهر الواحد الذي يعني الإنسان و الطبيعة و الإله مكوّن من مبدأ واحد، بل أكّد على وجود مسافة بينهما من خلال الرؤية التوحيدية التي قلّمها و التي استندت على ثنائية الخالق و المخلوق.

و لكن لو تناولت الدراسة طبيعة المجتمع الغربي التي تمنع إقامة مشروع توحيدي يناهض المشروع المادي القائم عليه الفكر الغربي لفتحت آفاق أخرى في البحث أكثر.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على أحد أهم المفكرين العرب المعاصرين عبد الوهاب المسيري وإبراز مرجعياته التي انطلق منها في دراسته للحدثاثة الغربية، كما تتيح هذه الدراسة أيضا توضيح أثر الفكر المادي على الإنسان وعلى حياته النفسية و الاجتماعية و تبين الوضع المتأزم الذي يعيشه حاليا خاصة الإنسان الغربي يخضع للمادة بشكل أكبر.

كما حاولنا أن نبرز النموذج المعرفي الغربي بكل تحيّزاته التي يتصف بها و الإشارة إلى العلاقة الموجودة بينه وبين الصهيونية و أيضا النموذج البديل الذي حاول المسيري تأسيسه لمناهضة النموذج الغربي ولم تتضح ملامحه بعد.

خلاصة الفصل:

على ضوء ما ورد في هذا الفصل تعرضنا لإشكالية الدراسة التي يدور صداها في الطرق و الكيفية التي انتقد بها المسييري نماذج المعرفة الغربية، مع أهمية الدراسة التي تنصبّ في البعد الإنساني و التأثير على الحياة سواء على الماديّة أو غيرها، وتطرقت أيضا إلى الغاية التي تبرز أهمية النقد في إعادة بناء المعارف من جديد خاصة الغربية، وذلك بمفاهيم ومصطلحات أساسية قادتنا لاختيار الموضوع، ونوهت أيضا إلى وجود أسباب ذاتية تلخصت في الانبهار بالحضارة الغربية و ما وصلت إليه و الموضوعية التي تجسدت في قوة هذه الحضارة وسيطرتها في جميع الجوانب على الطرف الآخر، وذلك باللجوء إلى دراسات ساهمت في إفادتي بنظرة عامة على كل ماله صلة بالموضوع.



الفصل الأول :

الحداثة الغربية والمنهج عند المسيري

المبحث الأول: سيرة ومسيرة عبد الوهاب المسيري

المبحث الثاني: الأبعاد المنهجية في فلسفة المسيري

المبحث الثالث: الحداثة الغربية في فكر المسيري



تمهيد:

عرف المسيحي عن بقية المفكرين و المثقفين العرب بكتابة سيرته، وتركها حتى يتسنى للقارئ أثناء اطلاعه أن يلم بجميع مراحل حياته، كما شكل طرحه الفكري في تقديم نماذج جديدة للفهم و التحليل و التفسير وفتح آفاق معرفية و فلسفية واسعة فقد أنجز أعمالاً جديرة بالاهتمام و المتابعة خاصة حينما غاص في عمق الحداثة و ما بعد الحداثة في الفكر الغربي وتفكيك شيفرة الخطاب الغربي و تجزأته ومن ثم نقده على مستوى أكثر تركيبة و عمقا، و التركيز على قضايا الانسان و إعطائها اقدرا أكبر من التحليل و التفسير، فقد بدا اهتمامه واضحا بالعنصر الانساني وما يشهده من تحولات في الفكر الغربي أو المنظومة المادية ككل.

ومن هنا يطرح تساؤل:

ماهي المرجعيات الفكرية لعبد الوهاب المسيحي وخلفياته المنهجية في رؤية الحداثة الغربية؟

المبحث الأول: سيرة ومسيرة عبد الوهاب المسيري

المولد والنشأة:

كان مولد عبد الوهاب المسيري في دمنهور* عاصمة البحيرة بجمهورية مصر العربية يوم السبت: 1938/10/08 من أسرة غنية مثقفة، فأبوه كان تاجرا ثريا (...). مع أنه لا يشير إلى نشأته في أسرة غنية، بل إنه نشأ في أسرة بورجوازية ريفية تختلف عن الأسرة البورجوازية الحضرية.¹ لقب باليهودي المسلم تيمنا بإحدى مشايخ الطريقة الحفصية²، كما أن الفترة التي نشأ فيها شهدت قلق واضطراب سياسي علي مختلف الأصعدة في العالم، وخاصة العالم الإسلامي، إضافة للحروب التي عرفتها منطقة الشرق الأوسط.³ [بتصرف]

ورغم هذه الظروف إلا أن التنشئة التي تربى عليها بالاعتماد علي النفس وعدم الاتكال على الغير، خلقت لديه شخصية قوية ومثابرة، قادرة علي التكيف مع التحديات المعيشية في مختلف الظروف وفي كل الأماكن التي زارها أو استقر بها لفترة من الزمن مثلما ذكر ذلك: >> هذه النشأة جعلتني مثابرا، لاتنسى أن أبناء البورجوازية الريفية وأنا منهم ينشؤون في خشونة، خلافا لأبناء البورجوازية الحضرية كان والدي يرد أن لا علاقة لنا بثروته، زادت أم نقصت، وأن علينا أن نعيش في مستوى أولاد الموظفين (...). كنت أشكو من هذا آنذاك، لكنني تعلمت فيما بعد عندما ازدادت حكمة أنه نفعنا كثيرا بذلك <<.⁴

* دمنهور: مدينة مصرية عاصمتها محافظة البحيرة، تقع في الجزء الأوسط من غربي دلتا النيل، بين الإسكندرية والقاهرة تعرف آنذاك بدمنهور في عهد الفراعنة. منير البعلبكي: موسوعة المورد العربية، الجزء الثاني، دار العلم للملايين، ط1، دون ب، 1990، ص428

¹ علي إبراهيم نملة: الموسوعات الفردية. المسيري أنموذجا. كتاب المجلة العربية، ط1، السعودية، 1432هـ، ص31

² www.elmssiri.com

³ أحمد عبد الله بن إبراهيم الرئيس: العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، ج4، مكتبة البيان ط1، دون ب1998 ص232،

⁴ سوزان حرفي: الثقافة والمنهج (حوارات عبد الوهاب المسيري) دار الفكر، ط2، دمشق، 2010، ص20

وبالتالي نشأته في دمنهور أسهمت في إدراكه للعديد من أمور الحياة، وتعلمها دون غيرها، ممّا أكسبته اطلاع واسع وكبير على المجالات المختلفة سواء الاجتماعية أو الثقافية، والتي بدورها شكلت بناءه الفكري بشكل كبير، ممّا عزّز ثقته بنفسه أكبر، وتوّقت لديه العزيمة والإرادة في رحلة البحث عمّا يؤمن به فعلياً، دون تغليف عقله بأفكار متداولة، وإن ساهمت في فتح طريق البحث له بشكل أوسع.

ورغم أنّ أسرته البورجوازية الريفية التي تعيش خارج القاهرة لم تتأثر بعناصر التغريب التي ضربت بجذورها البورجوازية الحضرية بل ضلّت متمسكة بعاداتها وتقاليدها والمحافظة على القيم المصرية والعربية والإسلامية ممّا جعله يتشبّع بثقافة بيئته التي ترعرع فيها.¹

فقد لعبت الأسرة الممتدة دوراً في نشأة المسيري، يقول المسيري: >> وعندما كنا في دمنهور كان لي أعمام وأحوال وزوجة أخت، وكنا جميعاً نساكن في العمارة نفسها أو في أماكن أخرى قريبة جداً من بعضها البعض، أي أنّي كنت أفاعل مع شخصيات متنوعة <<.²

وهكذا فنشأته في بيئة تقليدية تعتمد على التراحم والتسامح وتنوع مكوناته إضافة إلى التداخل الكثيف بين جميع مؤسسات، المسجد، المدرسة، الأسرة وصرامة ضبطه للقيم والشعائر وثراء وغنى الثقافة التقليدية ساهم في تنوع فكره وأثر عليه بشكل واسع.

وفي هذا الصدد يقول المسيري: >> فقد نشأت في بيئة تقليدية تقام فيها الصلاة وتؤتى فيها الزكاة وتحكم في المجتمع مجموعة من القيم الدينية التقليدية التي يستنبطها الإنسان دون أن يدري،

¹ عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية البذور والجذور والثمر، سيرة غير ذاتية غير موضوعية، الهيئة العامة لقصور الثقافة،

ط1، القاهرة، 2000، ص20

² سوزان حرفي: الثقافة والمنهج، مصدر سبق ذكره، ص26

وهو مجتمع كان يمتلك ثقافة تقليدية من أغاني وقصص وسير وفنون وحكمة، عرفتها وتأثرت بها في طفولتي >>.¹

التحصيل العلمي والمسار الأكاديمي:

أ- التحصيل العلمي:

تلقي تعليمه الابتدائي والثانوي بمدينة دمنهور نال الشهادة الابتدائية سنة 1949م، ثم الثقافية ثم نال التوجيهية*، أدبي فلسفة عام 1955م.²

انتقل بعد ذلك إلى الإسكندرية بهدف إكمال دراسته، توجه إلى قسم اللغة الإنجليزية وآدابها بكلية الآداب، فشكّلت له تجربة فريدة إضافة إلى أنّ التدريس هناك كان على شكل محاضرات حقيقية لا دروس إملاء حيث يقول في هذا الصدد: >> كانت ذاكرتي قوية لدرجة أنني لا أنسى أي شيء يُذكر في المحاضرات >>.³

وهذا ما زاد ثقته بنفسه أكثر، ودأب على مواصلة مشواره رغم التحديات التي واجهها، إلّا أنّه صنع منها فرص للنجاح، واستغلها في الإبداع أكثر، وتميّز بها عن باقي المثقفين والمفكرين العرب.

وفي سنة 1959 تخرج من الكلية، ثمّ تم تعيينه فيها معيدا في العام الذي يليه، وفي العام 1963 سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لالتحاق بجامعة كولومبيا بنيويورك حيث حصل على الماجستير سنة 1964 ثمّ التحق بجامعة ريتجز في مدينة نيويورك في ولاية نيوجرسي عام

¹المصدر نفسه: ص46

*التوجيهية: شهادة ألغيت بعد حصوله عليها

²مج أكاديميين عرب: الفلسفة العربية المعاصرة تحولات الخطاب من الجمود التاريخي إلى مآزق الثقافة والإيديولوجيا، دار الأمان، ط1، الرباط، 2014، ص373

³عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية، مصدر سبق ذكره ، ص93.

1964 حيث حصل على الدكتوراه سنة 1969، وفي نفس السنة عاد إلى مصر للتدريس في قسم اللغة الإنجليزية وآدابها في كلية البنات جامعة عين شمس.¹

وتعد تجربته في التدريس التي قضاها في كلية البنات في جامعة عين شمس إنسانية خالصة وفريد من نوعها، ولم يستفد منها قبلاً، فقد حظي باحترام وتقدير الأستاذات والبنات فيها كونه الرجل الوحيد فيها.

لكن كانت خالية من أية مثيرات فكرية أو تفاعلات ثقافية، يقول المسيري بخصوص هذه المرحلة: >> لم يكن هناك شيء فكري مثير السبب يعود إلى أنه لم يُسد القسم أي جو ثقافي ولم تسري فيه أيّة تيارات فكرية<<.²

فالمسيري كان يطوق للتنوع الفكري والثقافي، ولم يكن يرسى على حال واحد أو على ثقافة وفكر معين وهذه السمة التي امتاز بها جعلت فكره غني ومتنوع وليس مخصص في مجال معين أو يسير على مذهب واتجاه محدد.

ب - المسار الأكاديمي:

تشكل الحياة العلمية في الجامعة جزء مهم من حياة المسيري، إذ يعد التدريس المهنة الأساسية في حياته، رغم كل الاهتمامات المتعددة والمناصب التي شغلها، لم تمنعه من التجوال في جامعات مختلفة من أنحاء العالم .

¹ عمرو شريف: ثمار رحلة عبد الوهاب المسيري الفكرية، فرست بوك للنشر، ط3، القاهرة، 2014، ص11.

² عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر، سيرة غير ذاتية وغير موضوعية، دار الشروق، ط4،

القاهرة، 2009، ص.639

خريطة هيكلية توضح أهم مراحل حياته الأكاديمية:

السنة	المرحلة
1970	التعيين لفترة قصيرة مستشارا لوزير الإرشاد (الأستاذ محمد حسن هيكل)*
1972	صدور أول مؤلفاته الحقيقية ،نهاية التاريخ مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني
1975	صدور موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية : رؤية نقدية يشار إليها هذه المرحلة بموسوعة 1975 ،عاد بعد ذلك إلى الولايات المتحدة الأمريكية لينضم أسرته بعد أن ذهبت زوجته إلى هناك للحصول على الدكتوراه وقد تحمل في هذه الفترة مستشارا ثقافيا للوفد الدائم الجامعة الدول العربية لدى هيئة الأمم المتحدة بنيويورك
1979	العودة إلى مصر للتدريس في كلية البنات.
1983	العودة إلى مصر للتدريس في جامعة الملك سعود.
1989	الانتقال إلى الكويت للتدريس في جامعة الكويت.
1990	العودة إلى مصر والاستقالة من الجامعة حتى يتفرغ لكتابة الموسوعة.

شكل 1 بتصرف.

إيفسف المسيري تجربته في جامعة في جامعة الملك سعود بأنها من أسعد أيام حياته، لأنه وجد الجو الثقافي الذي كان يبحث عنه في الرياض، عكس تجربته في كلية البنات بمصر، حيث دعي للعديد من المؤتمرات و الندوات التي تحدث فيها عن الصهيونية وما بعد الحدثاء وغيرها من القضايا، مما فتحت له آفاق الإبداع والتفكير¹.

¹ عمرو شريف: رحلتي الفكرية، مصدر سبق ذكره، ص11

المرجعية الفكرية ومؤلفاته:

نهل المسيري من ينابيع متعددة، كان لها الأثر الكبير والفعال في تكوينه الفكري والمعرفي، سواء في الأدب أو الفن أو الشعر، كذلك في مجال الفقه والدين والانفتاح على تيارات فكرية وسياسية مختلفة، ساهمت في بلورة فكره وغزارة إنتاجه العلمي، فهو لم يكن منغلق على ذاته ومجتمعه، بل كان منفتح على الآخر.

يقول المسيري: «لم أنغلق على تراثي ولم أحصر نفسي في نطاق العالم الغربي، بل انفتحت على الحضارة الغربية نهل من معينها وتعلمت منها الكثير، فهي جزء من تراثي كإنسان، حاولت قدر استطاعتي ألا تتحول هذه الحضارة إلى مطلق (...) أتعامل معها دون أن ألتقاها بشكل سلبي، وكذلك دون أن أرفضها بشكل مطلق».¹

أ - المرجعية العربية:

سياسياً: يقول المسيري: «منذ طفولتي دخلت عالم السياسة بحكم مولدي ونشأتي وتعليمي»² فالظروف السائدة في وقته جعلته ينخرط في عالم السياسية في عمر مبكر من حياته.

إذ تنقل من حزب مصر الفتاه إلى الإخوان المسلمين، إلى الحزب الوطني وهيئة التحرير إلى الحزب الشيوعي وهو لم يبلغ الثامنة عشر من عمره بعد.³ وهذا يعد دلالة على مدى نضجه السياسي بسرعة كبيرة مقارنة بأبناء هذا الجيل.

والصراع العربي الإسرائيلي في الشرق الأوسط، كان الأثر البالغ في عبد الوهاب المسيري، وتحديد رؤيته إزاء ما يحدث في العالم العربي الإسلامي من تناحر وصدام.

¹ سوزان حرفي: الثقافة والمنهج، مصدر سبق ذكره ، ص54

²: المصدر نفسه، ص66

³ عمرو شريف: ثمار رحلة عبد الوهاب المسيري، ص16

الحرب العربية الإسرائيلية الأولى: في 15/5/1948 وقعت بين الدول العربية والكيان الصهيوني تخللتها هدنة، قبل أن تنتهي بعقد اتفاقيات فردية للهدنة، وانتهت بأحداث دامية أدت لتوطين إسرائيل في قلب الوطن العربي.

الحرب العربية الإسرائيلية الثانية: تعرف بالعدوان الثلاثي على مصر، وقعت في 1956 شنتها كل من إسرائيل، إنجلترا، فرنسا ضد مصر، وانتهت بانتصار مصر سياسيا وكذلك الحركة العربية نتيجة ممارسة الضغوطات على مصر، تم تأمين قناة السويس، ومن خلالها تنامي المد القومي في الوطن العربي، واحتدمت التناقضات بين حركة التحرير العربية و الامبريالية العالمية.

الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة: شنتها إسرائيل في 1957 على الدول العربية و خلالها أخفقت الدول العربية عسكريا واستراتيجيا، وزاد توسع إسرائيل على العديد من الأراضي العربية من ضمنها فلسطين¹.

الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة: وقعت في أكتوبر 1973، شنتها مصر، سوريا والعديد من الدول العربية ضد إسرائيل، كذلك تعرف بحرب تشرين، بانتصارات على الصعيد العسكري لصالح العرب وأهم حدث وقع خلالها الخطر النفطي الذي قام به العرب وترتب عنه نتائج عديدة على المستوى الدولي².

ثقافيا: كان الوضع الثقافي ممتازا في بداية مشوار المسيحي، فمصر تمتلك إطارات كفاء في مختلف المجالات العلمية إلى جانب المكتبات العلمية مثل مكتبة الإسكندرية، و بالموازاة لعبت الجامعات دورا فعلا في إنعاش القطاع الثقافي، خاصة بعد الثورة 1956 و بروز بوادر تحسن الثقافة المصرية، مما أدى إصدار قرارات كمجانية التعليم فساهم في خلق روح التنافس بين الناس جميعا³.

¹ عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1993، ص206

² عبد الوهاب الكيالي: الموسوعة السياسية، مصدر سبق ذكره، ص207

³ المصدر نفسه: ص390

المصادر الغربية:

الماركسية: اعترف المسيري بأثر الماركسية في توجهه الفكري من الناحية الإيجابية والسلبية أيضا فرحلة اعتناق الماركسية ظهرت بوادرها عليه عندما كان في المرحلة الثانوية، وأول عام درس فيه الفلسفة وعمره ستة عشرة سنة، حيث يقضي فترة طويلة في قراءة الكتب وخاصة قصيدة قصيرة لكامل الشنادي التي جعلت مسألة الإيمان الديني عنده جبن، لأنه في رأيه الكل يصوم ويصلي بحكم العادات والتقاليد وكل التساؤلات التي طرحها القصيدة لم تكن لها إجابات كافية، فانهى به الأمر إلى إعلان عدم الصلاة والصوم حتى يجد الإجابة على أسئلته وهذا ما صدم أسرته وأقرانه، فوصفه البعض بأذنه ملحد.¹

فبين تقويضه للمرجعية الإيمانية التي نشأ عليها وبين مرجعية دينية فكرية يستند إليها أصبح يعيش في مرحلة من التيه، في حيرة وتساؤل دائمين عن أسئلته التي تدور في ذهنه.

ورغم ذلك اعتبر الماركسية وسيلة تمكين له، جعلت الإنسان القضية الأسمى في نظره وهذا ما يؤكد عليه في قوله: >> أكدت الماركسية الإنسانية لي مركزية الإنسان في الكون، وأن الإنسان مقولة مستقلة عن عالم الطبيعة وأن التاريخ له هدف و غاية <<.²

أما عن تحوله من المادية إلى رحابة الإسلام فهو درجات بدأ بتجارب إنسانية بسيطة مثل: قصة حبه للدكتورة هدى حجازي لم يستطع تفسيرها ماديا، ثم ولادة ابنته نور، فتأمل لحظة ميلادها ولم يستطع حينئذ تفسير علاقتها بأفها ولا حتى علاقته بها تفسيرا ماديا.³ وكذلك حين إلقاءه محاضرة عن الاستنارة الغربية نوه فيها بمناقبتها الكثيرة بما في ذلك عقلانيته، ولكن في المحاضرة التي ألقاها بعدها تناول الشعر الإنجليزي الحديث، تحدث فيها عن أزمة الإنسان الحديث وعن اغترابه عن الطبيعة فأحس بسخف شديد، كيف له أن يشر بحضارة غربية باعتبارها حضارة الاستنارة، ثم يبين في

¹المسيري: رحلتي الفكرية، ط1، مصدر سابق، ص98

²المصدر نفسه: ص103

³سوزان حرفي: مصدر سبق ذكره، ص71

الساعة التي تلتها لنفس الطالبات في كلية البنات واقع الأمر بأنّها حضارة الخراب وهذا ما أوقعه في تناقض.¹

أهم الشخصيات والكتب المؤثرة فيه:

أثر جمال حمدان في كتاباته، إذ غير المسيري طريقة رؤيته للجماعات اليهودية فقد انتقل من الموضوعية المتلقية إلى الموضوعية الاجتهادية التي لا تكتفي بالرصد وإنما تحاول الربط بين المعلومات والحقائق التي تجرد منها أنماطا متكررة ثمّ النماذج التحليلية،² ومن بين أساتذته الذي تأثر بهم يذكر المسيري نور الشريف خاصة في المنهج، والغريب حسب قوله تأثره بطلبته خاصة هبة رؤوف، جيهان فاروق من خلال حواراته معهم، وكذلك تأثر بالشاعر الإنجليزي الحديث جون هيث ستبس، ماكس فيبر، روجي غارودي، كافين رايلي.³

ومن الكتب: الإسلام بين الشرق والغرب لعلي عزت بيغوفتش الذي أثر فيه بشكل كبير فقد وجد فيه الرؤية الإنسانية الإسلامية التي كان يبحث عنها⁴ وكذلك كتيّب بان صغيران للمفكر الفلسطيني إسماعيل راجي الفاروقي، أحدهما عن اليهودية والثاني عن الصهيونية، وهنا عبارة عن مجموعة محاضرات ألّقاها في معهد الدراسات العربية التابعة لجامعة الدول العربية في القاهرة.⁵

فانكبّاب المسيري على القراءة والثقافة وتحليله بأدب الحوار والنقاش وتعدد اهتماماته و اكتشافه الواعي لقدراته الذهنية العالية ، والعمل على صقلها وتطويرها أكثر عبر الاطلاع، ساهم في تكوينه بقدر كبير.

¹ ممدوح الشيخ: من المادية إلى الإنسانية الإسلامية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، بيروت، 2008، ص38

² سوزان حرفي: المصدر السابق: ص55

³ المصدر نفسه: ص35

⁴ المصدر نفسه: ص53

⁵ المصدر نفسه: ص53

وخلف مقولة "وراء كل رجل عظيم امرأة" برز دور هدى حجازي التي كان شريكاً وداعماً له، فالرجل الذي يحول منزله متحفاً شرقياً ومنتدى ثقافياً، يجتمع فيه أصدقاؤه ومريده وتلاميذه، كان بحاجة إلى رفيقة من نوع دكتورة هدى حجازي في شلّة تحمّلها وصدق إيمانها برسالته ولا ضير بأنّها أكثر الناس شعوراً بأنّهم فقدانه.¹

توفي المسيري فجر يوم الخميس في 3 جويلية 2008 بمستشفى فلسطين بالقاهرة عن عمر يناهز السبعين عاماً بعد صراع طويل مع مرض السرطان، وشيّعت جنازته من مسجد رابعة العدوية بمدينة نصر بالقاهرة.²

وقبلها بتسعة أشهر تم اختطاف المسيري وزوجته هدى حجازي عصر السابعة عشر يناير 2008 من قبل قوات الوزير المبرّر أ حبيب العادلي من ميدان السيّدّة زينب وألقي به في الصحراء وسط برد قاس، فالتقطتهما سائق مقطورة لا يعرفهما، وأصيب المسيري في تلك الليلة بالتهاب رئوي حاد قاومه قدر استطاعته إلى أن وافته المنية.³

أهم مؤلفاته: كتب صدرت باللغة العربية:

الفردوس الأرضي: دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكية (المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1979م).

إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد. تأليف وتحرير (مجلدان كبيران، نقابة المهندسين، القاهرة 1993م المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن 1996م سبعة أجزاء، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة 1998).

فكر حركة الاستنارة وتناقضاته: (دار نهضة مصر، القاهرة 1999م).

¹ محمد عبد القادر: عبد الوهاب المسيري يموت اليوم يعيش غداً، الدستور، 11/يوليو/2008،

² موقع فلاسفة العرب www.arabphilosophers.com

³ يحيى حسين عبد الهادي: الأهرام 46954، السبت 27 يونيو 2015، مصر.

العلمانية تحت المجهر: (بالاشتراك مع الدكتور عزيز العظمة)، (دار الفكر ، دمشق ، 2000م).

العالم من منظور غربي: (دار الهلال، كتاب الهلال، القاهرة 2001 م).

الإنسان والحضارة والنماذج المركبة :دراسات نظرية و تطبيقية (دار الهلال، كتاب الهلال، القاهرة 2000 م).

الفلسفة المادية و تفكيك الإنسان : (دار الفكر، دمشق 2002م).

اللغة والمجاز :بين التوحيد و وحدة الوجود: (دار الشروق ،القاهرة 2002م).

العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة: (جزءان ، دارالشروق ،القاهرة 2002م، طبعة ثانية 2005م).

الصهيونية والحضارة الغربية الحديثة: (دار الهلال ، كتاب الهلال، القاهرة 2003 م).

دفاع عن الإنسان: دراسة نظرية و تطبيقية في النماذج المركبة (دار الشروق ،القاهرة 2003م).

الحدثاء وما بعد الحدثاء (بالاشتراك مع الدكتور فتحي التريكي) ، (دار الفكر، دمشق 2003م).

دراسات معرفية في الحدثاء الغربية (دار الشروق، القاهرة 2006 م).

نهاية التاريخ مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني (مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة 1972م؛ المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت 1979م).

الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ :رؤية حضارية جديدة (دار الشروق ، القاهرة 1997 م – 1998م – 2001 م).

من هو اليهودي؟ :دار الشروق، القاهرة 1997م، 2001م، 2002م).

موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية :نموذج تفسيري جديد (ثمانية مجلدات، دار الشروق، القاهرة 1999م).

اليد الحفية :دراسة في الحركات اليهودية، الهدامة والسرية (دار الشروق ، القاهرة 1998 م ؛ الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة 2000 م ؛ دار الشروق 2001 م).

مقدمة لدراسة الصراع العربي - الإسرائيلي : جذوره و مساره ومستقبله (دار الفكر، دمشق 2002 م).

رحلتي الفكرية في الجذور و البذور و الثمر سيرة غير ذاتية غير موضوعية: (الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2001 ، دار الشروق طبعة ثانية ، القاهرة 2005).

الادبولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم الاجتماع المعرفة (جزءان، المجلس الوطني للدراسات والنشر، بيروت 1979 م).

قصص الأطفال:

الأميرة والشاعر : قصة للأطفال (الفتى العربي، القاهرة 1993 م).

أغنيات إلى الأشياء الجميلة : (ديوان شعر للأطفال) (دار الشروق، القاهرة 2002 م).

نور والذئب الشهير المكار سندريلا وزينب هانم خاتون رحلة إلى جزيرة الدويشة معركة كبيرة صغيرة سر اختفاء الذهب الشهير بالمختار ماهي النهاية؟ (بالاشتراك مع الدكتورة جيهان فاروق) قصة خيالية جدا قصص سريعة جدا : قصص للأطفال (دار الشروق، القاهرة، 1999 م).

الكتب المترجمة:

إسرائيل وجنوب أفريقيا : بالاشتراك (سلسلة كُتب مترجمة رقم 427 ، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة ، بلاتاريخ 1979 م).

أرض الميعاد دراسة نقدية للصهيونية السياسية (سلسلة كُتب مترجمة رقم 247 ، الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة 1980 م).

الغرب والعالم :تأليف كافين رايلي (ترجمة بالاشتراك) (جزءان،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
عالم المعرفة، الكويت 1985م).¹

أعمال منشورة باللغة الإنجليزية:

Base of Western Imperialism (Committee of Supporting ،Israel
1969). ،New York ،Middle East Liberation
Critique of Political Zionism The Land of Promise: A
1977). ،N.J ،New Brunswick ،(North American
The Progression of a Relationship :Israel and South Africa
Second ؛1976 ،N.J. ،New Brunswick ،(North American
1980). ،1980; Arabic Translation ،Edition 1977; Third Edition
Other A Lover from Palestine and
،Washington D.C. ،Poems: Palestine Information Office
1972.²

¹مرجع سبق ذكره www.elmessiri.com

²ممدوح الشيخ:من المادية إلى الإنسانية الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص283

المبحث الثاني: الأبعاد المنهجية في فلسفة المسيري

مفهوم النظرة إلى العالم:

كل نسق معرفي يدور حول مطلق بمعنى ركيزة نهائية أو أساس نهائي، فالمطلق هو المركز الذي يتجاوز الأجزاء جميعاً ولا يتجاوز شيء، و بأنه ما يؤدي وجوده إلى تماسك أجزاء النسق فهو مصدر الوحدة والتناسق و الركيزة النهائية للنسق أو الصورة المجازية و المبدأ الواحد و المرجعية النهائية و الميتافيزيقا المسبقة، فأى نسق فلسفي لا بد له من مركز و يقبل أتباع هذا النسق دون تساؤل بشأنه ودون نقاش.¹

فالإيمان بالتفسير كمطلق و كيقين و كفاية و هدف والتفسير الكامل دائماً وأبداً قد يؤدي إلى لاشيء أو لعل كما قد يؤدي إلى دمار الإنسان و الكون إن لم تتم عملية التفسير داخل الحدود وإن لم يكن لها عقل وروح: أي إن لم تفترض مركزية الإنسان في الكون، و إن لم نعتبر الإنسان هو الغاية وهو أمر مستحيل من منطلقات نسبية،².

فالمسيري صاحب مشروع إنساني بدرجة أولى، فكل اهتماماته تصب في الإنسانية أو سعيه لقيام حضارة إنسانية متكاملة، لا تفصلها نوازع أو فوارق، إذ يركز على الإنسان كونه العنصر الفعال في قيام أي حضارة ويؤكد على قيمه التي بها يعلو درجات عن العالم الحيواني.

ونوه المسيري إلى اللغة و المجاز برؤية الإنسان أو نظرتة للعالم تصور لعلاقة الخالق بالمخلوق، أي الربط بين علة مجالات في النشاط الإنساني (دراسات دينية، لغوية، نفسية)، ويربط بين كل التفاصيل فتكتسب معنى ودلالة وتصبح جزء من كل وليس مجرد معلومة جديدة أو طرق فريدة، إذ يعبر النموذج عن تجل متعين لرؤية الإنسان للكون التي تدور حول محاور ثلاث: الإله، الإنسان، الطبيعة وهي محاور مترابطة تمام الارتباط فهي مجرد ثلاثة أوجه لنفس الظاهرة وإدراك هذا الترابط هو ما يجعل الإنسان

¹ عبد الوهاب المسيري: الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، تق محمد حسنين هيكل، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1997، ص232.

38 عبد الوهاب المسيري، كافين رايلي: الغرب و العالم، تق: هدى عبد السميع حجازي، عالم المعرفة، ط1، الكويت، 1985، ص15،

يرى أن الانتقال من اللغوي والصورة المجازية وعلاقة الدال بالمدلول إلى الديني (رؤية الإله) إلى النفسي (مضمون الإدراك) أمر مستحق والمنهج الذي اتبعناه، أي التحليل من خلال النماذج المعرفية.¹

الاعتماد على الصور و النماذج المجازية في النظرة للعالم:

إنّ النموذج كأداة تحليلية يربط بين الذاتي والموضوعي، لذا يمكن القول بأن عملية صياغة النموذج تجمع بين الملاحظة الامبريقية و الحدسية.²

إذ يعتمد المسيري على النموذج التحليلي كأداة منهجية بهدف معالجة الظواهر الإنسانية التي تختلف عن الظواهر الطبيعية أو العلوم الطبيعية، باعتبار أنّ العلوم الإنسانية ظواهر غير ماديّة، فلا يمكن معالجتها بنفس الطريقة التي تعالج بها المختلف الظواهر الطبيعية.

فمن خلال النموذج التحليلي يمكن أن نقوم بعمليات ذهنية فنقول إن كان كذا، فمن الممكن أن يكون كذا، إذ يمثل النموذج التحليلي صورة مكثفة و منفتحة على الواقع، وهو بوصفه صورة مجازية يعبر عن جوهر الواقع بوصفه علاقات متشابكة بدون أن يكون لصيقاً.³

إنّ الصور المجازية منبع خصب للوصول إلى النماذج التحليلية الكامنة، وترجمة مباشرة غير واعية أحياناً لطريقة تنظيم النص لذا يجب رصد التعبيرات المجازية حتى نصل للأتمات الكامنة في النص، ولذا لا يتم إلا عبر لغة المجاز التي تسعى إلى الوصول لبعض المعاني المتضمنة و المركبة التي تعجز اللغة التحليلية المباشرة عن توصيلها.⁴

¹ عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، دار الشروق، القاهرة، 2002، ص5.

² عبد الوهاب المسيري: اليهود واليهودية والصهيونية، ج1، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1999، ص135.

³ عبد الوهاب المسيري: دراسات معرفية في الحدثاء الغربية، مكتبة الشروق الدولية، ط1، القاهرة، 2006، ص388.

⁴ عبد الوهاب المسيري: اليهود واليهودية والصهيونية، مصدر سابق، ص137.

فالمجاز جزء أساسي من التفكير الإنساني، أي جزء من نسيج اللغة التي هي جزء لا يتجزأ من عملية الإدراك، فحسب المسيري لا يمكن إدراك بعض الظواهر الإنسانية المركّبة ولا الإفصاح عنها، دون اللجوء إلى المجاز المركب أي استخدام المجاز أمر حتمي في معظم عملية الإدراك، فحسب التركيب، فكل رؤية للكون تحوي داخلها صور مجازية أساسية.¹

سمة الكلية في المنهج العلمي:

تحررت العلوم الطبيعية في الغرب من الغائيات و المطلقات الإنسانية ومن أية مرجعية متجاوزة، فأصبحت محايدة تماماً و منفصلة عن أية قيّم، تنظر للعالم من خلال النموذج المائي الرياضي العلمي باعتباره مادة صماء خالية من أي معنى داخلي و باعتباره آلة دقيقة تتبع قوانين صارمة لا علاقة لها بالأخلاق أو الغير.²

أما عن العلوم الإنسانية فقد أكلت على أهمية العقل المطلق و على قدرته في التوصل للقوانين المجردة الكامنة في الطبيعة من خلال الحواس، وظهر المفهوم المائي للعقل باعتباره صفحة بيضاء تتراكم عملية معطيات حسية أي لم يعد النقل الفعال الذي يسيطر على التجريب وبوجهه، وإنما هو جزء من الطبيعة المادة الخاضعة لها، أي تم تفكيك العقل، وانفصل نهائياً عن التجريب.³

فتقدم الغرب في مختلف العلوم الطبيعية يعد نتاجاً لتعاملاتهم مع الجماد و الآلة التي المتحررة من الثقافة والفكر، خلافاً للظاهرة الإنسانية التي هي نسيج مترابط من الجوانب النفسية والعقدية والاجتماعية، والتي حاول الغرب تطبيق المنهج التجريبي التحليلي بهدف السيطرة على الإنسان.

¹ عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية، م1، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2002، ص8 .

² عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية، مصدر سبق ذكره، ص263.

³ عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، م1، مصدر سبق ذكره، ص263 .

وهذا كان سبب في ظهور ما يسمى أوما يعرف بواحدية العلوم التي تفترض أن ما يسري على الظواهر الطبيعية، يسري على الإنسان أيضا، أي الاكتشافات في العلوم لابد أن تطبق على العلوم الإنسانية.¹

فمهمة العلم ليس توليد القيّم ولا فرض القيود علينا وإنما محاولة تفسير العالم لنا، وهنا يكمن عجز الرؤية في تفسير الظواهر الإنسانية فهي لا ترى farkا بين الطبيعة/المادة وإنما جزء لا يتجزأ منها، مدعنا لحتمايتها، بل يوجد farkا جوهريا بين الإنسان والطبيعة، و أنه لا يمكن تجزئة النشاط الإنساني وتفتيته وتشريع كل مجال بمعزل عن المجالات الأخرى.²

فمحاولة الإنسان الغربي إحكام قبضته على الطبيعة أو الكون بأسره، من خلال توحيد العلوم المتعلقة بالإنسان و الطبيعة، و تفسيرها وفق العقل الذي يتبناه و المنطق الذي يسير عليه، جعله يتخلى أو يتناسى مبادئ عديدة تساهم في بناء العالم بشكل محكم دون أن يسقط أو يهوى في عالم الصيرورة.

نحت المصطلحات والمفاهيم:

ومن بين الأدوات التي يستخدمها المسيحي في منهجه هي صياغة المصطلحات و المفاهيم للأزمة و الضرورية، لتعبير عن التصورات الكلية وعن الظواهر وفق ما تقتضيه، فمن الطبيعي ألا توجد ألفاظ في اللغة تترجم بشكل دقيق.

فمعظم المصطلحات الغربية مرتبطة بسياقها الحضاري الذي نشأت فيه ولذا فهي مستقرة فيه، وقد تفي بالغرض الذي سكت من أجله لدرجة معقولة، ولكن كل هذا يضع حدودا حضارية و تاريخية على فعاليتها خارج سياقها.³

¹المصدر نفسه:ص216.

²المسيحي: اللغة والمجاز بين التوحيد و وحدة الوجود، مصدر سبق ذكره، ص7 .

³سوزان حرفي: ثقافة ومنهج، مصدر سبق ذكره، ص339

لذلك فالمسيري يدعو لإعادة اكتشاف المعجم العربي بكل إمكاناته اللفظية و الصرفية و الدلالية، مثل اكتشاف كلمة "ديباجة" التي ليس لها ما يناظرها في المعاجم الغربية، وهي تصف مجموعة من المدلولات الهامة و المركبة¹. لكن ومع ضرورة إيجاد مفاهيم تتناسب أو تتماشى مع القضايا والظواهر التي يدرسها المسيري، اضطررنا لبحث بعض المفاهيم وصياغة بعض المصطلحات لأجل ذلك.

فمثلاً كلمة "حوسلة" هي اختصار لعبارة تحويل الشيء لوسيلة ، بالإنجليزية instrumentalization وقد أجازت المجامع اللغوية في الوطن العربي النحت عندما تُلجئ الضرورة إليه، فقد وجد المسيري أنه من الضروري نحت كلمة حوسلة لدواعي الإيجاز اللغوي، ذلك لأن عبارة تحويل كذا إلى وسيلة عبارة طويلة ولا يمكن توليد مصطلحات منها، وحوسل فعل متعدد بمعنى حول الشيء أو الإنسان إلى وسيلة ومنها الحوسلة على غرار بسمل، وبسملة من بسم الله الرحمان الرحيم وحول، حوقلة من لا حول ولا قوة إلا بالله وحمل، حملة من الحمد لله، وكذلك نقول تحوسل الشيء، أي تحول إلى وسيلة².

وبهذا يعتبر المسيري وبكل جدارة صاحب مفاهيم نظرية كلية جديدة في الخطاب العربي المعاصرة من قبيل العلمانية الشاملة و الجزئية، النزعة الجنينية، النزعة الربانية، الحلولية، الكمونية، الواحدية، التحيز المعرفي... الخ والتي كانت ولادتها جزء من جهد نظري خاص، يجعل إدراك المسيري للظواهر و التحولات والتحديات والمآلات في الفعل السياسي و الثقافي إدراكاً أكاديمياً عميقاً ذا خلفية معرفية متعددة و مركبة الأبعاد³.

شكل نحت المصطلحات وصياغتها من قبل المسيري، ثراء و تنوعاً في فكرة و مشروعته الفلسفي، فعمد على ضبطها بدقة متناهية من أجل فهم وتفسير الظواهر على اختلافها سواء الطبيعية أو الإنسانية.

¹المصدر نفسه:ص355

²المسيري:الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، مصدر سبق ذكره، ص355

³www.maghress.com

المبحث الثالث: الحدث في فكر المسيحي

نشأة و تاريخ الحدث الغربي:

الحدث كلفظ و كمنعنى نشأ ضمن حقل النقد الأدبي حقل النقد الأدبي، ثم استمر توظيفه في حقول أخرى كالاقتصاد، التحليل النفسي، والتقنية... إلخ.¹ وجذور نشأتها وإرهاصاتها ترجع إلى تحول الطرق التجارية العالمية في السنوات الألف الميلادية، وإلى ازدهار الجمهوريات الإيطالية تبعاً لذلك التحول، وإلى أحداث تاريخية كبرى كالكشف العالم الجديد من قبل كولمبوسو سقوط غرناطة 1453م وأحداث علمية وتقنية هامة وأحداث فكرية كالنهضة الفنية في إيطاليا، و ظهور كتاب مقال المنهج لديكارت 1637م، إذ يعدّ مؤسس لفلسفة الحدث إلى جانب كانط الذي يبدأ عنده استقلال العقل وتحرير الفلسفة من سيطرة اللاهوت وطغيان المطلق، إن دون النقد الذي وجهه إيمانويل كانط ما كان للعقل أن ينطلق نحو العلم، و من دونه ما كان يعرف للمعرفة و لا للعقل حدوداً.²

وظهور الحدث الفعلي كظاهرة غربية انطلقت في أوروبا مع الثورة الفرنسية (1789م)، وعنت التغيير في النظام السياسي من النظام الملكي إلى النظام الديمقراطي الذي يقوم على سلطة الشعب و المجالس الممثلة للشعب و اعتماد الليبرالية نظاماً اقتصادياً و المساواة بين الجنسين، وإلزامية التعليم للأطفال والانتقال من نموذج الجماعات والطوائف الدينية المتحاربة إلى المواطن لا ابن طائفة دين، وتذوب الطوائف و الأديان في بوتقة مدينة علمية واحدة لا تميز فيها على أساس عرقي أو ديني وبهذا تكون علاقة المواطن بالدولة لا بسلطة أخرى.³

فا لحدث مفهوم اجتماعي يعبر عن تحولات عديدة مست قطاعات مختلفة في المجتمعات الغربية الحديثة بهدف النهوض والخروج من قاع الجهل و التخلف الذي عرفته أوروبا في سنوات نتيجة

¹ بريتيمة فاطمة: الرؤية النقدية للمسيحي في إشكالية التحيز للحضارة الغربية الحدث نموذجاً لنيل شهادة الماجستير، محمد نور الدين جباب، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009، ص4.

² المصدر نفسه: ص46، 56.

³ عبد الوهاب المسيحي، فتحي التريكي: الحدث وما بعد الحدث، دار الفكر، ط3، دمشق، 2010، ص349.

سيطر الكنيصة و حكمها، وقانونها المفروض و التي كانت تسير بها جميع شعوب القارة الأوروبية وفق منظورها وأسسها التي أقامتها، فاء لحدثاء وفق العقل الأوربي تسعى لتحقيق إنجازات واسعة على المستوى الاقتصادي و الثقافي و الاجتماعي، من أجل التقدم و التطور و الخروج من بوتقة الانحطاط الذي شهدته عبر تاريخ مضي.

الحدثاء الغربية برؤية مسيرية:

تعد الحدثاء مشروع غربي قام على قاعدة الصراع بين المؤسستين الدينية و السياسية، في أوربا مستهدفة القطيعة مع أسس هذا المجتمع قامت على تغليب العقل على النص وفصل الدين عن السياسة و تغيير أنماط السلوك و العمل، وفرض صورة جديدة للإنسان مغايرة تماماً لأحوال العصور الوسطى المظلمة.¹

تعريف المسيري للحدثاء:

يعتقد المسيري أنّ مصطلح الحدثاء الوارد من الغرب ليس بريئاً، خاصة في الاعتقاد السائد لدى الكثير من النخب العلمية أنّه محايد ومحدد المعنى والدلالة، ولكن مع تنوع التعريفات لمصطلح الحدثاء، إلّا أنّ هناك ما يشبه الإجماع على أنّ الحدثاء مرتبطة تماماً بفكر حركة الاستنارة الذي ينطلق من فكرة أنّ الإنسان هو مركز الكون وسيّده وأنّه لا يحتاج إلى عقله سواء في دراسة الواقع، أو إدارة المجتمع أو للتمييز بين الصالح والطالح.²

وفي ظل تعدد وتنوع المفاهيم و التعريفات لمصطلح الحدثاء، إلّا أنّ هذا التعريف وحده لا يكفي، بل يحتاج إلى إبراز وإظهار الأبعاد الخفية و الكامنة وراء هذا التعريف أو المفهوم .

¹ عامر عبد زيد الوائلي، هاشم العامري: نحن والغرب [1]، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1، دب، 2017، ص305

² لندة واضح: نقد الحدثاء الغربية في فكر المسيري، جيل للدراسات الأدبية و الفكرية، الثالث، 26 يناير 2017، مركز جيل للبحث العلمي، لبنان، ص25

فالمسيري لم يرى الحداثة الغربية على أنّها استخدام العقل والعلم والتقنية، بل إلى أبعد من ذلك وعرفها بدقة متناهية إذ يقول: <الحداثة هي استخدام العلم والتقنية والعقل المنفصلين عن القيمة والغاية>¹.

فأصبحت الحداثة هي استخدام العقل والعلم والتكنولوجيا المنفصلة عن القيمة، وجردته من القيمة المنشودة، ففي عالم متجرد من القيمة تصبح كل الأمور متساوية.²

لن يصبح الإنسان قادراً على التمييز بين الخير والشر، الظلم والعدل، الجوهري و النسبي، حتى الإنسان و الطبيعة في حد ذاته في إطار المنظومة الحداثيّة الغربية التي أضحت كل القضايا و الأمور متساوية لا فرق بينهما ولا تتجاوز موجود ضمنها.

فهذه هي الحداثة التي تبناها العالم الغربي التي جعلته ينظر لنفسه على أنّه مركز العالم، وأن ينظر للعالم على أنّه مجرد مادة استعماله يوظفها لصالحه باعتباره الأكثر تقلّماً و قوة، إذ يعتبرها المسيري في واقع الأمر منظومة امبريالية داروينية.³

وهذا المسيري إلى تأكّيده، فالحداثة في نظره ماهي إلاّ فلسفة داروين محققة تاريخياً، إذ بين من خلال تحليلاته لمفهوم الحداثة الغربية بأن جوهرها أو الأساس الذي تقوم عليه دارويني محض، فهو يعتبرها مرجعية العالم العربي.

مراحل تشكل الحداثة الغربية عند المسيري:

بعد دراسة التاريخ الحداثي الغربي من قبل المسيري نمكّن من رصدها في ثلاثة مراحل تشكّل الحداثة الغربية:

¹سوزان حرفي: العلمانية و الحداثة و العولمة (حوارات عبد الوهاب المسيري)، آفاق معرفية متجددة، ط1، دب، 2013، ص39

²عبد الوهاب المسيري: دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مصدر سبق ذكره، ص34

³المصدر نفسه: ص35

التحديث: تقع حلبة التحديث منذ عصر النهضة في الغرب و ما يسمى "عصر الاكتشافات" حتى الحرب العالمية الأولى التي تعد مرحلة التراكم الامبريالي و المادية و البطولية،¹ فالتحديث هو ذاته مشروع الاستنارة الذي يلغي الإله و يهمله، فالعالم يحوي مركزه داخله، ومن ثم فهو مرجعية ذاته و الإنسان هو جزء من هذا الكل عالم الطبيعة/المادة،² فالتحديث هو مرحلة إزاحة المركزية الإلهية في الكون واستبدالها بالمركزية الإنسانية.³

وفي هذه الفترة حاولت الفلسفة الغربية تأسيس نظم معرفية و أخلاقية لتحفظ بالتوازن بين الذات الإنسانية و الموضوع الطبيعي/المادي ولكنه لم يستمر طويلا في الإطار المادي و انتهى بتفوق الطبيعة/المادة و ابتلاعها لكل الأطراف الأخرى، أي تمت عملية تفكيك الإنسان ليتحول إلى أجزاء مادية و يختفي.⁴

ففي هذه المرحلة استطاع الإنسان اكتشاف واقعه و الطبيعة من حوله، و حاول جاهدا توظيف كل قدراته وإمكاناته العقلية في الإبداع، و العمل على خلق أشياء جديدة من شأنها تسهيل ظروف الحياة عليه.

الحدثاء: بدأت المرحلة من نهاية الحرب العالمية الأولى حتى منتصف الستينات من القرن العشرين، إذ تعرف بمرحلة الحدثاء العنثية أو عصر الحدثاء المأساوي، الملهائي، العنثي في هذه المرحلة بدأ العالم المتمركز حول اللوغوس بتاكل، وظهور اللاعقلانية المادية الجديدة⁵: التي تعني الايمان بالواقع المادي

¹ عبد الوهاب المسيري: دراسات معرفية في الحدثاء الغربية، المصدر السابق ، ص101،

² المصدر نفسه: ص45

³ لندة واضح: نقد الحدثاء الغربية في فكر المسيري، مرجع سبق ذكره، ص25

⁴ المسيري: دراسات معرفية في الحدثاء الغربية، مصدر سابق، ص46

⁵ المصدر نفسه: ص102

الذي يحوي داخله ما يكفي لتفسيره دون الحاجة إلى وحي أو غيب وأن هذا الواقع يشكل كلاً متماسكاً مترابطة أجزائه برباط السببية الصلبة و المطلقة.¹

وقد نتج عنها ما يعرف بالتحديد و التطبيع ، فالتطبيع هو ردّ الظواهر إلى القانون الطبيعي باعتباره مرجعية نهائية كامنة ، أما التحديد فيعني أن يصبح العالم مادة محضة لا يحوي غرضاً أو غاية أو معنى و لا علاقة لها بعالم القيم البينية والأخلاقية و الإنسانية، وحينما ينظر الإنسان إلى هذا الكون بعد تجسيده فهو لا يرى كائنات طبيعية / مادية متساوية ليس لوجودها معنى.²

فالحدث هي كل ما هو مرتبط بالتطور التكنولوجي وحتى التطور المادي وفق منظور العلم، على اعتبار أن الطبيعة و الكون بأسره خاضع للفحص من قبل العقل الإنساني الذي يعتبر نفسه أنه قادر على تحليل مثل هذه القضايا والخوض في غمارها و كشف مكنوناتها الكامنة، أي أصبح للعقل قدرة و قوة غير مسبقة من قبل، ولقد أفرز كل محاولاته و قدراته في عصر الحدث للكشف عن الطبيعة وأسرارها. ومن المفاهيم المحورية التي ظهرت في هذه المرحلة الإيمان الكامل باقتصاديات السوق الحر الذي تتحكم فيه قوانين العرض و الطلب المنفصلة عن القيمة وعن أي غائية إنسانية وقد تجسد ذلك في الاستهلاكية العالمية.³

ما بعد الحدث: مصطلح نفي سلبي وهو ترجمة لمصطلح postmodernism وقد تستخدم للدلالة على الشيء نفسه فأحياناً يطلق المصطلح تعبيراً على ما بعد البنيوية و أحياناً مرادفاً للتفكيكية التي تعتبر أحد ملامح و أهداف هذه الفلسفة.⁴

¹المسيري، تريكي: الحدث وما بعد الحدث، مصدر سبق ذكره، ص18

²حنان مصطفى: نقد الحدث الغربية بين المسيري وماركوزة، أوراق فلسفية، 19، 2008، منتدى سوى الأزيكية، مصر، ص236

³المسيري: دراسات معرفية في الحدث الغربية، مصدر سبق ذكره، ص43

⁴المسيري، فتحي تريكي: الحدث وما بعد الحدث، مصدر سبق ذكره، ص350

ما بعد الحداثة تنطلق من عدة أطروحات فلسفية متداخلة كلها تؤكد غياب المرجعيات وتآكل الذات و الموضوع وفقدان حدودهما، و هيمنة النسبية المعرفية و الأخلاقية، ومن ثم استحالة، إلى الوصول إلى فكرة الكل، سواء كانت فكرة الإله أو الأخلاق المطلقة أو الطبيعة البشرية.¹

فقد عمل فكر ما بعد الحداثة على نزع السر عن الظواهر وأكد في الإطار المادي أن أهم مهام للعقل هي نزع الأسرار عن كل الظواهر ومنها الإنسان وتفكيكها وردها إلى قوانين الحركة العامة و رؤيتها في إطار الواحدة الكونية المادية، وكذلك نزع سحر الكون وجماله لصالح التكنولوجيا عبر تفكيكه و رده إلى عناصر مادية فيفقد العالم سحره وجلاله وجميع عناصر القداسة والسر فيه، إذ أصبح مادة محضة أصبح كل شيء فيه محسوبا ويمكن السيطرة عليه وحوسلته.²

فعصر بعد الحداثة أصبح كل شيء فيه غير مستقر و غير ثابت، وليس مركز معين أو مرجعية محددة يستند إليها، فقد تلاشت فيه كل الأسس و الأعمدة التي من المفروض أن يلجأ إليها الإنسان فلا ثبات ولا استقرار، بل أضحى العالم فارق في الصيرورة و اختفت كل الثنائيات فيه.

ومن التيارات الفكرية التي ساهمت في بلورة فكر ما بعد الحداثة، التفكيكية التي اقترحها جاك ديريدا للبحث عن المعنى في أعماقه هي ظاهرة من الظواهر المادية الغربية في صبغتها الجديدة اللاعقلانية السائلة، أما عن ميشال فوكو ففلسفته هي فلسفة الذات المرتبطة بمجموعة من الآليات السلطوية المختلفة داخل الحضارة، فالمعقولة الفرنسية مرتبطة بتقنيات القمع السلطوي.³

و بالتالي فوكو يؤكد على أن اللغة لا تدل على شيء و إنما القوة التي وراءها وتصبح عملية التواصل الإنساني مستحيلة في إطار انفصال الدال عن المدلول، ويؤدي ذلك إلى اختلاط المفاهيم و فقدان المعاني المرجوة من كل الأشياء و الظواهر.

¹المسيحي: العلمانية والحداثة والعولمة، مصدر سبق ذكره، ص22

²المسيحي: اليهود واليهودية والصهيونية، مصدر سبق ذكره، ص276

³المسيحي، فتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، المصدر السابق، ص25

وما ذهب إليه المسيري في فكر ما بعد الحداثة في الحديث عن نيتشه الذي هو رائد بلا منازع للفلسفة المادية اللاعقلانية السائلة الجديدة ولخصت رؤيته في عبارته الشهيرة لقد "مات الإله" فهو فيلسوف عصر السيولة وما بعد الحداثة، فقد أدرك أن الحقيقة الكلية المادية التي يقر بها دعاة الاستنارة المضئنة والتحديث والعقلانية المادية المرتبطة حتماً بالتجاوز والميتافيزيقا لا يمكنها أن تنفصل عنهما.¹ أما عن مسألة انفصال الدال عن المدلول في فكر ما بعد الحداثة فقد اعتبرها مهمة أساسية في إرساء جذور ما بعد الحداثة، فاللغة هي وسيلة للتواصل بين البشر للاحتفاظ بثمرة تفاعلهم مع الطبيعة حتى لا تبدأ كل تجربة مع الطبيعة وعالم الأشياء من الصغر، ولكنها أصبحت هاجس الإنسان الغربي، فقضية الدال (الاسم) والمدلول (المسمى) هي علاقة العقل بالواقع والذات بالموضوع ونهاية علاقة الخالق بالمخلوق،² ولهذا يتم على مستوى اللغة فصل الدال عن المدلول يسقط في قبضة الصيرورة. فغاية فكر ما بعد الحداثة هو نزع كل الإشارات والمدلولات عن المسميات بحيث تصبح كل مسألة تشير لأكثر من مفهوم أو مدلول، وهذا ما يؤدي إلى إبعاد الدال عن ما يشير إليه، والمدلول عن وظيفته التي وجد لأجلها.

يؤكد المسيري أن ما بعد الحداثة هي أيديولوجي النظام العالمي الجديد المرتبطة بإيديولوجيات نهاية التاريخ التي هي نهاية الظاهرة الإنسانية وهزيمة الإنسان لنفسه، فإعلان فوكوياما لنهاية التاريخ هو إعلان لنهاية الإنسان وانتصار الموضوع للإنساني على الذات الإنسانية، أي يصبح العالم خاضع لقوانين الواحدة المادية وهو في واقع الأمر نهاية التاريخ الإنساني وبداية التاريخ الطبيعي.³ وفي مقابل ذلك يرفض المسيري في نهاية التاريخ التي يقول بها الفكر الحداثي الغربي، فهو يتبنى رؤية مخالفة بنا عليها تحليلاته، فقد ذهب إلى أن > الإنسان يعيش في التاريخ يفصل بين المطلق والنسبي ويبحث عن المطلق خارج التاريخ، إذ أن التاريخ لا نهاية له، ولن يصل بتاتا إلى لحظة السكون التي

¹ عبد الوهاب المسيري: اليهود واليهودية والصهيونية، مصدر سبق ذكره ، ص 311

² عبد الوهاب المسيري : الحداثة وما بعد الحداثة، مصدر سابق ص 32/30

³ المصدر نفسه: ص 161

يتحقق فيها الفردوس الأرضي وينتفي فيها الجدل ويتداخل فيها المطلق والنسبي ويصبح التاريخ دائريا مثل الطبيعة¹.

فقد تبين من خلال طرحه لفكرة نهاية التاريخ رفضه القاطع، لأن مضمونها القضاء على الجوهر الإنساني حينما تغيب كل التدافعات والصراعات ويصل التاريخ إلى لحظة السكون ويتجلى ذلك في سيطرة الإنسان الكاملة والتامة على بيئته وعلى ذاته، ويحقق السعادة المنشودة ويجد حلولاً لكل مشاكله التي يعيشها، فهذا ما يأمله ويسعى إليها لإنسان الغربي من خلال فكره ما بعد الحدثاء.

5.3 مجالات الحدثاء الغربية:

المجال الدولي: بدأت إبادة شعوب الأمريكيتين، وتسخير شعوب إفريقيا كعبيد لخدمة الرجل الأبيض الغربي وظهور الامبريالية العالمية فكانت سببا في ظهور العولمة، التي تهتم بتحويل العالم إلى وحدات متجانسة لا تتسم بأية خصوصية الأمر الذي أّهى إلى ظهور النظام العالمي الجديد حيث تراجع فيه الغرب من النمط الاستعماري التقليدي إلى النمط الاستعماري الحديث إذ يؤكد المسيري أن العولمة هي تصاعد عمليات الترشيح على مستوى العالم،² فالترشيح هو عملية تمييط وفرض للنماذج الكمية والبيروقراطية لمراقبة مجالات النشاط الإنساني كلها والتحكم فيها ، إذ يتم قياس أداء كل فرد بطريقة رياضية،³ ومع تصاعد معدلات التدويل يتحول الكون بأسره إلى شيء متجانس يتم الواحدة الدولية لا خصوصيات ولا ثنائيات ولا تفرع كما تحدث المسيري عن عولمة بعض القضايا مثل: الطاقة النووية، التلوث البيئي، الايدز، أنفلونزا الطيور، ... الخ.

المجال السياسي والاجتماعي: تجسد في ظهور الدولة القومية التي قامت بترشيح المجتمع الأوروبي من الداخل وتحديث مؤسساته وعلمنة رموزه، لكن مع تصاعد معدلات التحويل والاتصال الالكتروني

¹ عبد الوهاب المسيري: اليهود واليهودية والصهيونية، مصدر سبق ذكره، ص 359

² لندة واضح: نقد الحدثاء الغربية في فكر المسيري، مصدر سابق، ص 25

³ عبد الوهاب المسيري: تهاوت مفهومات العلمنة في العالم العربي، الاستغراب، 8، الثالثة، صيف 2017، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية.

تلاشت الدولة القومية ومؤسساتها، وظهور مراكز قوى أخرى مثل: الشركات الضخمة، منظمات غير حكومية، ... الخ.

المجال الاقتصادي: يتم في هذه المرحلة على المستوى الاقتصادي زيادة الإنتاج بحيث يصبح الهدف النهائي في الوجود في مرحلة ما بعد الحدثاء السائلة هو الاستهلاك وما يحرك المستهلك هو اللذة.

المجال الفلسفي: شهدت المرحلة ما قبل 1965 بداية المشروع التحديشي العقلاني المادي الذي يستند إلى الإيمان بالكل المادي الثابت المتجاوز ذي الهدف والنهاية والذي يشكل مركز الكون ولكن في مرحلة ما بعد الحدثاء أي بعد 1965 اكتسبت الحركية المادية مركزية كاملة وحركية ذاتية مستقلة عرّاد الإنسان بحيث تتجاوز أيّة نماذج عقلية وأيّة محاولات للتفسير والتنظير، فكل شيء يسقط في قبضة الصيرورة وتختفي المنظومات الكلية.¹

المجال الأخلاقي: يرى أنّ الأخلاق في هذه المرحلة هي ما يجرده العلم الطبيعي من تجاربنا الحسية أو المادية، ولا يمكن أن نتصور أخلاقاً خارج نطاق هذه التجارب، بمعنى أنّ الخير والشر ليس وصفاً لمقولات مطلقة أو شبه مطلقة متجاوزة للدوافع المادية للبشر، وإنما هي وصف لسلوك بعض الناس، وردودهم الفردية الواردة من تجاربهم المختلفة. أي أن الخير والشر في الأخلاق، يشكّان نقطة اتفاق بين الناس، لكنها قابلة للتفاوض، كما قامت بتغيير نمط العلاقات داخل نواة المجتمع، وهي الأسرة وظهرت أشكال بديلة لها، إضافة لوسائل الإعلام والاتصال ومساهماتها في تشكيل تصورات وثقافة الجمهور وحول المرأة والأسرة، فكانت المرأة المستهدف الأول في الأسرة ومطالبتها بالمساواة مع الرجل، وفي ظل الرؤية التعاقدية التي ميّزت المجتمع الغربي خاصة الأمريكي منه، فجوهر التعاقد الصراع والتنافس بين الأفراد والمؤسسات، وهي قيمة لا تعترف بأيّ مكان للرحمة، وقيم المحبة التي تميّز المجتمع التقليدي التراجمي، وهذه الفلسفة اخترقت أصغر الوحدات الاجتماعية مثل الأسرة، المؤسسات مثل الدولة التي لا تعرف مكان التراحم.

¹ عبد الوهاب المسيري: دراسات معرفية في الحدثاء الغربية، مصدر سبق ذكره ، ص 104-106

وهذا ما أدى إلى تفكك الأسرة في المجتمع الغربي وغياب الأخلاق الدينية التي تساهم في النشأة الأسرية وتمتين روابط الأخوة، وتلاشي القيم الاجتماعية التي تبني إنسان اجتماعي حضاري .

6.3 تجليات الحدثاء الغربية على واقع الحياة اليومية:

لا يزال الإنسان الغربي يعيش في ظل الحدثاء الغربية التي اكتسحت كل المجالات العامة منها والخاصة، وتوغلت في أعماق الحضارة الغربية مما جعلته يرضخ لحتماياتها التي فرضتها عليه، بل ويستقبلها دون محاولة منه لمعرفة أهدافها. وغاياتها فمن أهم تبدياتها على الحياة هي:

الدين: أصبح الدين لا علاقة له بالحياة العامة أي انفصال الحياة العامة عن الأخلاق بحيث تصبح منفصلة عن أيّة أهداف أو غايات إنسانية.¹

الوظائف والحرف والمهن: أدت إلى انفصالها عن بعضها البعض، ممّا أدى تزايد تخصص الوظيفة وعدم تشابكها مع نشاطات أخرى، فتحرّكت بحسب قوانينها الداخلية والذاتية الكامنة فيها، فتصبح مرجعية ذاتها مثلاً: البيروقراطي الذي يلتزم بأداء وظيفته بحياء شديد دون تساؤل عن المضمون الأخلاقي لعقله أو الهدف الإنساني منه: وأيضاً تصبح بعض الوظائف مقبولة بعدما كانت مرفوضة في الكثير من المجتمعات، مثل: النجمة السينمائية، المضيفة... الخ.²

الموضة: تعني الرغبة الدائمة في تغيير الزي مرتين على الأقل كل عام، فهي تجسد رؤية العالم كمادة متحركة، أي الهدف من الوجود الإنساني والغاية منه هو الاستهلاك المستمر.

الرياضة: تم فصل الرياضة عن القيمة بعدما كانت وظيفتها تهذيب الجسد والنفس وتدريب الناس على التعاون، وأصبح الهدف منها تحقيق الأرقام القياسية، فمع عمليات التدريب القاسية يصبح جسد الرياضي لا يستطيع نفسه التحكم فيه، بل النادي والمدرّب هو الذي يستثمر في جسده وانتشار برامج المصارعة الحرة التي تركز على القيمة العقلية للجسد خارج أيّة أطر إنسانية أو أخلاقية، وظاهرة

¹ عبد الوهاب المسيري: دراسات معرفية في الحدثاء الغربية، مصدر سبق ذكره ، ص 255

² المصدر نفسه: ص 258

بيع اللاعبين في سوق النخاسة الرياضية، وهذا يعني أن اقتصاديات السوق اقتحمت الرياضة التي أصبحت منفصلة عن أيّة قيمة أخلاقية إنسانية خاضعة لآليات السوق.¹

الجريمة: حسب المسيري كانت الجريمة دوافعها إنسانية مثل الدفاع عن العرض والشرف ... الخ، لكن حينما انفصلت عن القيمة ظهرت جرائم من نوع جديد مثل: الجريمة الكاملة التي يتم تنفيذها بطريقة يتصور من قام بها أنه من المستحيل معرفته، فالهدف من هو أن يثبت المجرم نفسه أنه على قدر عال من الكفاءة وبوسعه التحكم في كل الإجراءات، وبالتالي جريمة لا دافع لها.²

وأيضاً تبدّياتها في مجال العلوم الطبيعية التي يتم تحريرها من القيم و الغائيات الأخلاقية والإنسانية، ويسود مبدأ الصدفة، فعلى حد تفسير المسيري تصور العالم خلق صدفة أو أن الإله خلقه وقرر تسييره حسب قوانين طبيعية مطردة كامنة فيه، ثم تركه يدور كآلة، أي العالم كآلة والإله صانعها يؤدي إلى اختفاء الغرض والغاية من العالم.³

فصل القيم الجمالية الكامنة في العمل عن القيم الإنسانية المتجاوزة له: إذ ينظر للعمل الفني على أنه يعبر عن رؤية صاحبه وعولاه ومزايه فقط، وهذا ما جعل الفن مجرد تعبير عن ذاتية الفنان صاحب إرادة القوة الذي يحاول الوصول إلى أشكال فنية فريدة خاصة به تعبر عن ذاتيته.⁴

الطعام: تم فصل الطعام عن القيمة في منظور المسيري فقد لاحظ ظاهرة أكل الطعام الذي قد تم إعداده من قبل، يأكله المرء وهو يسير أو يجري، ظاهرة جديدة على الجنس البشري، فهي رؤية تعتمد على السرعة والحركة في الحيّز المادي مقياساً وحيداً، وهي بذلك تحول الإنسان إلى كائن نمطي يشبه الآلة.⁵

¹المصدر نفسه: ص 261

²المصدر نفسه: ص 262

³المصدر نفسه: ص 256

⁴المصدر نفسه: ص 267

⁵عبد الوهاب المسيري: الإنسان والشيء، موقع المسيري، تاريخ النشر، 2009/7/7

ومن الأمثلة التي استدلل بها المسيري طعام الهامبرجر، فعلى حد تفسيره مجرد مادة استعماله عامة لا طعام لها ولا لون، ولا رائحة فهو شبه طعام لا خصوصية له وهذا بدلا من الوجبة التي تعلها من الأم وتجتمع حولها الأسرة في جو تراحمي يقوي أواصر الصلة بينهم، فلجأ الإنسان إلى طعام ما يسمى بطعام البرّاني، في اعتقاد المسيري، يحكم عليه من منظور السرعة والسهولة والنمطية.¹

الجنس العرضي: بعدما انفصل الجنس عن القيمة، أصبح يسمى بالجنس العرضي، أي يعبر عن رغبة الإنسان في إشباع الرغبات الجنسية في أي وقت ومع أي شخص خارج إطار أيّة تركيبة إنسانية خاصة بالعواطف والطمأنينة والفردية، وخارج إطار القيم والمثاليات الأخلاقية والاجتماعية، إذ يعبر عن عدم الاكتراث بأيّة قيم جوانية إنسانية أو خصوصية فردية، وبذلك يسقط كل القيم وهذا ما أّى إلى التمرکز حول الذات والتمرکز حول الموضوع الذي لا علاقة له بالإنسان أي الإنسان ككائن حر متعين.³

نبه المسيري إلى الظواهر التي لم تكن موجودة من قبل، وبروزها كان نتيجة الفكر الحدائي أو ما بعد الحدثاء الغربية التي توغلت إلى عمق الذات الإنسانية، فجعلت الإنسان الغربي يتجرد من مبادئه وغاياته وأهدافه التي وجد لأجلها في هذا الكون، وقد اتضح ذلك من خلال واقع حياته اليومية التي يعيشها، حيث سيطر عليه الفكر المادي وسير حياته على النمط المادي ورسم معالم عيشه في اتجاه أو طريق واحد، فتحوله كائن مادي استهلاكي، لا يعرف القيم الإنسانية والأخلاقية والاجتماعية التي من المفروض أن تكون حاضرة فيه.

<http://www.elmessiri.com/articles view.php> ?

¹ عبد الوهاب المسيري : دراسات معرفية في الحدثاء الغربية، مصدر سبق ذكره، ص 261

² المصدر نفسه: ص 260

³ عبد الوهاب المسيري: اليهود واليهودية والصهيونية، مصدر سبق ذكره، ص 306

خلاصة الفصل :

شكل المفكر الراحل عبد الوهاب المسيري حالة متميزة و فريدة في تاريخ الفكر العربي والإسلامي المعاصر، بل يرتقي لحد الاستثنائية نظرا لغزارة فكره وكتاباته المتمحورة حول الإنسان وتغلغله داخل الحضارة الغربية ودراسة الفكر الغربي بمختلف مجالاته ، وشمولية اهتماماته المعرفية في مجالات عديدة كالنقد والأدب والفلسفة والتاريخ والترجمة والعمل الموسوعي الذي عرف به كونه عمل استثنائي في المكتبات العربية التي تفتقر إلى هكذا أعمال، فقد كان منظرا أكاديميا ومجتهدا منهجيا، وعمل على نحت الكثير من المصطلحات والمفاهيم التي تفرد بها عن غيره من المثقفين العرب، إذ تعد المفتاح الرئيسي للولوج داخل فلسفته وفهم مضمونها ، فهو موسوعي الفكر والعلم والمعرفة ، ومن أبرز المهتمين بالقضايا الفكرية والمنهجية ، وعمل على دراسة وتطوير نماذج مختلفة قلّمها للإنسانية عامة ، والبحث الأكاديمي الغربي بصورة خاصة فقد حظيت الحضارة الغربية والفكر الغربي بأكبر نصيب من الاهتمام والدراسة ، كونه ألمّ بأحدث تجليات الحداثة الغربية وتطوير ترسانة من المفاهيم ساعدته على فهم النموذج المادي في المنظومة الغربية.



الفصل الثاني:

الانسان والمادة في فلسفة المسيحي.

المبحث الأول: المرجعيات النهائية بنظرة المسيحي.

المبحث الثاني: الفلسفة المادية وسر جاذبيتها.

المبحث الثالث: الظاهرة الإنسانية و سماتها



تمهيد:

لقد شكل العقل منذ القرن 17 إله الحضارة الغربية بعد قطع الصلة بإله الكنيسة و أحيط بقدسية لا مثيل لها مما ساهم في بروز الفلسفة المادية التي شكلت أساس البنية الفكرية للفلسفات الحديثة، وقد وضع المسيحي فكرة المرجعية التي تستمد منها مكوناتها الكلية وقيمتها الحاكمة، وقسمها إلى مرجعيتين: مرجعية نهائية كامنة، وأخرى متجاوزة، أما الفلسفة كمفهوم فقد رأى أنها لا تقبل سوى المادة باعتبارها الشرط الوحيد للحياة، وما سواها لا يقبل، وحتى الإنسان إن تجاوز أو تعالى على النظام الطبيعي المادي يرفض، وفي خضم ذلك مثلت الظاهرة الإنسانية والإنسان معيارية التمايز بين هاتين المرجعيتين في إطار الفكر المادي وإدراك ما بينهما من اختلافات أو ما تتضمنه هي ذاتها من اختلافات تفسيرية، وفي ظل هذا اختزلت الإنسان إلى بعد واحد مادي النزعة، نفعي الأخلاق.

وهذا يقودنا لطرح التساؤل الآتي:

هل الإنسان قادر على تجاوز حدود المادة؟ ومن أين يستمد معياريته؟

1. المبحث الأول: المرجعيات النهائية بنظرة المسيحي.

تحكم الإنسان مجموعة من القيم التي تتجاوز دوافعه المادية سواء الاقتصادية أو الجسدية، يستمدّها من مرجعيات مختلفة تسيّر وتسيطر على علاقاته المجتمعية، و في إطار هذا حاول المسيحي التمييز بين مرجعيتين مختلفتين، المرجعية المتجاوزة والمرجعية الكامنة.

1.1. المرجعية النهائية المتجاوزة: عرف المسيحي المرجعيات على أنها أعلى مستويات التجريد،

تتجاوز كل شيء ولا يتجاوزها شيء، إذ لا يمكن أن نتصور قيام رؤية كاملة وشاملة للكون من دون مرجعية نهائية¹، فهي فكرة جوهرية، و أساس كل فكر في نموذج معين بل تعتبر عمادا له ومن دونها لا يمكن ان تقوم أي رؤية تجاه العالم.

وفي إطار هذا السياق عمد المسيحي للتعريف بالمرجعية النهائية المتجاوزة حيث يقول: "المرجعية المتجاوزة في النظم التوحيدية، هي الإله الواحد المنزه عن الطبيعة والتاريخ، الذي يحركهما ولا يحل فيهما ولا يمكن أن يرد إليهما، ووجوده ضمان أن المسافة التي تفصل الإنسان عن الطبيعة لن تختزل ولن تلغى، فالإنسان قد خلقه الله ونفخ فيه من روحه وكرمه واستأنه على العالم واستخلفه فيه، أي أن الإنسان أصبح في مركز الكون بعد أن حمل عبء الأمانة والاستخلاف².

وقد تبين من خلال التعريف أن الإله متجاوز لعالم الطبيعة والإنسان والتاريخ، من خلال المسافة التي ذكرها المسيحي بين الإله الخالق سبحانه عز وجل وبين مخلوقاته، وإن تم إلغاء المرجعية المتجاوزة " الله" المفسرة لوجود الإنسان والحياة تظهر تفسيرات أخرى قد تتعارض مع فطرة الإنسان السليمة التي خلقها الله عليها.

¹ المسيحي: العلمانية والحدأة والعولمة، مصدر سابق، ص 80.

² المسيحي: اليهود واليهودية والصهيونية، ج1، مصدر سابق، ص 57.

سمات المرجعية النهائية المتجاوزة: من أهم سمات هاته الرؤية التي ترى أن الإله مفارق للطبيعة و الإنسان:

- تجاوز الإله للعالم.
 - تجلي الإله في التاريخ والطبيعة دون أن يتطابق معهما أو يكمن فيهما (ثمة علاقة اتصال وانفصال).
 - إنسانية الإنسان باعتباره كائنا مركبا وربانيا يحوي داخله عناصر طبيعية، كما يحوي ما لا يمكن رده للمادة، فعلاقته بالطبيعة هي أيضا علاقة اتصال وانفصال.¹
- فالرؤية المتجاوزة تؤكد على وجود إله مفارق لهذا الكون، ولا يمكن أن يحل في هذا العالم أو يكون مساويا له، ويتم معرفة الخالق والوصول إليه عبر التوحيد والإقرار بوحدانيتها فقط.
- التوحيد: إن التوحيد باب من أبواب العقيدة الإسلامية وأصل الدين، ومبدأ أساسي قامت عليه الرسالات السماوية، ولما له من أهمية في العقيدة والتقديس.
- أ. مفهوم التوحيد: هو علم يبحث في إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية العقلية النقلية التي تزيل كل شك، و به تستقر النفوس وتطمئن القلوب بالإيمان،² فمن لا يعرف التوحيد يعيش في حياته كالأعمى الذي تنتهي حياته على الأرض وهو لا يدري لماذا بدأت ويخرج منها وهو لا يدري لماذا دخل إليها.

إن الخيط الناظم لفكر وفلسفة المسيحي هو فكرة التجاوز التي يقصد بها أن يرتقي الإنسان ويتعالى على حدوده المادية والطبيعية برغم بقاءه داخلها وهذا يعني أن المرجعية المتجاوزة في النظم التوحيدية تحتاج في تفسير الظاهرة الإنسانية إلى عنصر متجاوز وخارج عن نطاق الإنسان والطبيعة وهو الله.³

¹ مج من المؤلفين، تح: أحمد عبد الحليم عطية، عبد الوهاب المسيحي في عيون أصدقائه ونقاده، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2007، ص 397.

² عبد المجيد الزنداني، التوحيد والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دار السلام، ط6، القاهرة، مصر، 2007، ص 5.

³ أبو معقودة حفيظة، الإنسان بين الفلسفة المادية وفلسفة التجاوز، مجلة الرسالة، المجلد2، العدد5، جانفي 2018، الجزائر، ص25

فالمسيحي يؤكد على فكرة المرجعية المتجاوزة التي هي مفارقة للعالم المادي الطبيعي، وإيمانه بأن الله هو مصدر تماسك العالم ووحدته وحركته وغايته، فمن غير المعقول أو المنطقي بأن من خلق هذا الكون وأبدع فيه أن يحل فيه بشكل كامل أو يتساوى معه، فالإيمان الديني الحق يدور حسب المسيحي في قوله: "ثمة إله خالقاً للكون وهو مركز العالم (الإنسان والطبيعة) وهو مركز مفارق له، وهذا الإله خلق العالم لغرض وهدف، ولم يهجره وإنما يشمله دائماً برعايته وحكمته ورحمته ولا يترك مسار التاريخ يتحرك دون عطفه ورعايته"¹ هذا الإله هو من أتقن وأبدع في صنع الخلق وتسيير شؤونهم، دون حاجة لأحد ومفارق لمخلوقاته جميعاً، فهو الواحد المنزه، الخالق المكرم المستخلف.

فالمسيحي عرف الله وأقر بوحدانيته بعد التيه والتثبت الذي شهدته في انتقالية للماركسية في رحابة الإسلام حيث يؤكد ذلك بقوله " وقد وجدت أن الإسلام هو أكثر العقائد ابتعاداً عن الحلولية، وعن توحد الخالق بمخلوقاته (وحدة الوجود) أي أن التوحيد في إطار الإسلام أ في - تصوري - هو أكثر أشكال التوحيد رتبا وتسامياً"²

وتبين من خلال قول المسيحي أن الإسلام هو الدين الحق الذي ينصف البشرية دون استثناء ويقر بتوحيد الله وإفراده في جميع صفاته.

ومن الثنائيات الكبرى والأساسية في الرؤية التوحيدية بحسب المسيحي هي ثنائية الخالق والمخلوق، والتي تنبثق عنها جميع الثنائيات الأخرى.

ب . ثنائية الخالق والمخلوق: يقول المسيحي: " فالله هو مرجعية هذا العالم وركيزته الأساسية ومطلقه الذي لا يرد إلى شيء خارجه"³ ومن خلال القول يتضح وجود مسافة بين الخالق والمخلوق، وهذا يدل على فعل التجاوز أي أن الإله متجاوزاً ومنزهاً عن الإنسان والطبيعة والتاريخ.

¹ المسيحي في عيون أصدقائه ونقاده، مرجع سابق، ص 433.

² المسيحي : رحلتي الفكرية، ط1، مصدر سبق ذكره، ص238

³ المسيحي، اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، مصدر سابق، ص 22.

"فالإله يتجاوز كل حدود الزمان والمكان فهو منزّه عنها وعن عالم الطبيعة المادية، وعن الإنسان والإيمان بوجود متعال يتجاوز كل الطبيعة والإنسان هو سمة المنظومات التوحيدية".¹ فالأطر التوحيدية تؤكد أسبقية الخالق عن المخلوق فلا يحد زمان ولا مكان أي أنّ الله في اللامكان واللازمان بهذا ينفي التوحيد عنه الحلول والتوحد مع خلقه.

ج. الثنائية الفضفاضة: تشكل الأساس في فلسفة المسيحي للرؤية المتجاوزة أو المرجعية المتجاوزة، والمبدأ المخالف لكل ما هو مادي وفي السياق يقول: "الثنائية مصطلح يقابل الواحد وهي الإيمان بوجود أكثر من جوهر في العالم، ولكن الثنائية الفضفاضة الحقيقية لا يمكن أن توجد إلا في إطار المرجعية المتجاوزة حيث يوجد هذا العالم وما يتجاوزه فتظهر الثنائية الأساسية "الخالق والمخلوق" أو "الثنائية المتجاوزة والحال الكامن" والتي تفترض أسبقية على كل ما هو مخلوق وأن الخالق لا يمكن أن يرد إلى مخلوقاته أو يلتحم بها أو يذوب فيها، وهي ثنائية فضفاضة تفاعلية لا تعادلية إذ أن الإله مفارق للعالم ولكنه لم يهجره ولم يتركه وشأنه أي أنه ليس مفارقاً حتى التعطيل"² فالثنائية الفضفاضة هي ثنائية أساسية في النظم التوحيدية، فقد نظمت معالم التوحيد وسياقه، فالخالق قد خلق مخلوقاته وأبدع فيها، إذ خلق الإنسان وكرمه عن سائر مخلوقاته واستخلفه في الأرض لأعمارها، وهذا ما يمنع الإنسان من السقوط في العدمية أو الرؤية المادية التي ترى خلاف ذلك.

وهذا يعني أن هناك علاقة اتصال وانفصال في نفس الوقت، وليس انفصال قطعي أو اتصال كلي، فالله خلق المخلوقات وتجلّى صورته في تلك المخلوقات لكن دون أن يتطابق معها أو يكمن فيها، وهذا دلالة على عظمتة ووحدانيته فمن خلال الكون وما أبدع فيه، يهتدي إليه الإنسان عبر التأمل والتدبر والتفكير في صنع الخالق والإقرار بجبروته وقوته وحكمته، فلا يمكن لعقل عاقل أن يتقبل أو يستوعب ما يخالف ذلك.

¹ المسيحي، الإنسان والحضارة والنماذج المركبة، دار الهلال، مصر، 2002، ص 384.

² المسيحي، اليهود واليهودية والصهيونية، ج1، مصدر سابق، ص 68.

د.المسافة وحيز الإنسانية المشتركة: يعرف المسيحي مصطلح المسافة بالبعد والمساحة، وقد تستخدم في الزمان فيقال مسافة يوم أو شهر، والمسافة ومرتبطة تمام الارتباط بفكرة الحدود،¹ فقد استعمل المسيحي كلمة المسافة في منظومته المعرفية في إطار المرجعية المتجاوزة التي تفصل بين الخالق والمخلوق.

يرى المسيحي أن المسافة هي الحدود الفاصلة بين الخالق العلي المتجاوز وبين مخلوقاته، وهذا يعني أن للمخلوق حدودا لا يتجاوزها، ولكنها تعني أيضا أنه هوية محددة وجوهر مستقل، ومن ثم فهو كائن حر مستقل مسؤول وقد على مصطلح المسافة الحيز الإنساني والطبيعي،² فمن خلال المسافة أو الحدود الفاصلة التي أوردتها في منظومته المعرفية هي دلالة على عدم وصول الإنسان لدرجة التوحد مع الإله، فهي حيز الأمان الذي يشعر الإنسان بأن هناك إلها مفارقا لعالم المادة والطبيعة، وأنه من المستحيل أن يحل فيها ما دامت المسافة أو الفاصل كائنا موجودا.

ويؤكد ذلك في قوله: "تظل المسافة والحدود قائمة بين الخالق والمخلوق لا يمكن اختزالها مهما كانت درجة اقتراب المؤمن من الإله، ومن هنا لا يمكن في الإطار التوحيدي أن "يصل المتصوف إلى الالتصاق بالإله أو الاتحادية فثمة مسافة جوهرية ثابتة"³ فبرأي المسيحي مهما بلغت قوة الإيمان و شدة اقتراب الإنسان من الخالق لن يصل لدرجة التماهي أو التوحد معه، وينوه أيضا لأهمية المسافة في الرؤية التوحيدية التي تعتبر الخط الفاصل بين الإله ومخلوقاته.

ومن الأمثلة التي ضربها المسيحي في شدة وقوة الإنسان المؤمن في الوصول إلى الله رسول الله نفسه صلى الله عليه وسلم الذي لم يصل بل ظل قاب قوسين أو أدنى في حالة الاقتراب، وهذا ما يعني البينية، أي وجود حيز بين الخالق والمخلوق.⁴

¹ المسيحي، اليهود واليهودية والصهيونية، مصدر سابق، ص 58.

² المسيحي، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، م 2، دار الشرق، ط1، القاهرة، 2002، ص455.

³ المسيحي، اليهود واليهودية والصهيونية، مصدر سابق، ص 58.

⁴ المصدر نفسه،صفحة نفسها

ولكن المسافة يمكن أن تصبح ثغرة أو هوة في حال ابتعاد المخلوق عن خالقه ونسيانه لأصله الرباني الذي يميزه عن باقي الكائنات، وإذا تذكر أصوله الربانية وحاول التفاعل مع الإله، تتحول المسافة إلى مجال للتفاعل وحيز إنساني يمارس فيه إنسانيته، فيصبح كائنا مستخلفا في الأرض يشغل المركز.¹

أما عن الإنسانية المشتركة فهي مفهوم محوري ورئيسي في رؤية المسيحي، فقد ميز بين الإنسانية المشتركة ومفهوم الإنسانية الواحدة الذي يعني أن البشر يتسمون بشكل من أشكال التماثل والتشابه والتجانس الكامل، إذ يقول المسيحي: "أطرح فكرة الإنسانية المشتركة التي تنطلق من مفهوم إنساني (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى²) فقضية المساواة هي الفكرة الأساسية بل والمتجذرة في الإسلام، إذ لا يفرق بين الإنسان الأعجمي ولا الإنسان العربي من حيث مبدأ المساواة، لكن يضع معايير تعترف بالاختلاف في إطار وحدة المساواة، ومقياس التقوى هو المقياس الوحيد الذي يتجاوز كليهما الإنسان العربي و الأعجمي.

يقول المسيحي: "فالإنسانية المشتركة - تلك الإمكانيات الكامنة فينا، هذا العنصر الرباني الذي فطره فينا ودعمه بما أرسله لنا من رسل - تشكل معيارا وبعدا نهائيا وكليا"³ فقد تبين من خلال قول المسيحي أهمية الإنسان التوحيدي الذي يتجاوز الطبيعة ولا يخضع لحتمياتها و الاهتداء إلى أن هنالك إلها مفارقا وفي إطار الحفاظ على القيم والمبادئ الإنسانية لا بد من وجود المسافة بين الخالق والمخلوق.

هـ. القداسة: يقول المسيحي: "الشيء المقدس يتم فصله عما حوله، ويحاط بمجموعة من المحرمات الطقوسية بحث لا يقترب لموجود العادي من الشيء المقدس إلا إذا قام بطقوس

¹ المسيحي: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، م2، مصدر سابق، ص456.

² المسيحي: العلمانية والحداثة والعولمة، مصدر سابق، ص 17.

³ المسيحي: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، م2، مصدر سابق، ص 474.

تمهيدية وتطهيرية تؤهله للاتصال به. وهذا يعود إلى أن الشيء المقدس يشير إلى المبدأ الواحد مصدر التماسك والوحدة¹

يشير المسيحي إلى أن التقديس الذي يكون مرتبطا بالإله العلي وحده، فالقداسة هي السمة البارزة والجلية في المنظومات التوحيدية، فلكل مجتمع إنساني طقوس ومقدسات لا يمكن تجاوزها أو التعالي عليها لأن تمثل خطوطا حمراء لا تساهل معها. الإنسان يدرك الإله من خلال المجاز أي إن القداسة في الرؤية التوحيدية مرتبطة في المعنى المجازي، فهو ربط بين المحدود الإنساني واللامحدود الإلهي، وفي الإطار التوحيدي يعرف أنه لن يدرك الإله في كل جوانبه فهو ليس كامنا أو حالا في الإنسان أو الطبيعة أو التاريخ.²

و. النزعة الربانية: هي تعبير عن وجود عنصر غير عادي غير طبيعي داخل الإنسان، وهذا العنصر لا يمكن رده إلى الطبيعة المادة أطلق عليه المسيحي اسم القبس الإلهي أو النور الذي يثله الإله في صدر الإنسان وفي الكون بأسره، فيمنحه تركيبته اللامتناهية، ويولد في الإنسان العقل الذي يدرك من خلاله أنه ليس بآله وأنه ليس بالكل، ومكلف بحمل الأمانة وعليه أعباء إنسانية وأخلاقية تشكل حدودا وإطارا لها.³ فالنزعة الربانية هي سعي الإنسان نحو التميز والرقى والصفاء الذي يبحث عنه داخله ولا يحقق إلا بوضع المسافات والحدود بينه وبين خالق المخلوقات جميعها، والاقرار بوحدانية الخالق التي تجلب الطمأنينة والاستقرار الذي يريده.

فالإنسان الإنسان أو الإنسان الرباني هو كائن لا يعلم كليته إلا الله، إذ هناك جزء منه قادر على تجاوز عالم المادة، وهو كائن يعيش داخل جسده المادي ولكن روحه تتجاوز عالم المادة إلى عالم المثل والثبات والغيب كائن أقدامه مغروسة في الوحل وعيونه شاخصة للنجوم يسقط دائما، ولكنه

¹ المسيحي: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، م2، مصدر سابق، ص456.

² المسيحي: اللغة والمجاز، مصدر سابق، ص158.

³ المسيحي: اليهود واليهودية والصهيونية، ج1، مصدر سابق، ص87.

قادر على النهوض ثم التجاوز، ووجود الله هو الضمان الوحيد لوجود هذا الإنسان وبغيابه يتحول إلى مجرد مادة طبيعية صماء خاضعة لقوانين المادة.¹

ونحن نذهب إلى أن المسيحي يؤكد أن الإنسان بطبيعة فطرته لا يؤمن إلا بمرجعية واحدة أي إيمان المسيحي بالمرجعية المتجاوزة وأن هناك إله مفارق خالق لهذا الكون عكس ما تدعيه باقي المنظومات المادي.

فمن يؤمن بمرجعيات مختلفة في رأي المسيحي هو إنسان مصاب بالشيزوفرينيا، أي كيف نؤمن بمرجعية إسلامية ويهودية وأخرى علمانية في ذات الوقت.²

2.1. المرجعية النهائية الكامنة: ميز المسيحي بين التجاوز والتعالي والحلول والكمون، فقد

رأى أن من يؤمن بالتجاوز والتعالي، فهو يصب في إطار المرجعية المتجاوزة، بينما الكمون هو إنكار إمكانية التجاوز، فالعالم الطبيعي المادي يكتفي بذاته باعتباره يحوي داخله كل ما يلزم لفهمه وتفسيره، فالفلسفات الغربية الحديثة ماهي إلا تاريخ تصاعد معدلات الكمون و إنكار التجاوز، أي فتحت المجال للواحدية المادية وتصفية الثنائية المتجاوزة³ وبناء على هذا التمييز أو التفريق بين المرجعيتين المتجاوزة والكامنة فقد عرف المرجعية الكامنة أنه تنظر للعالم باعتباره أنه يحوي ما داخله يكفي لتفسيره دون حاجة إلى اللجوء إلى أي شيء خارج النظام الطبيعي، وبذلك يصبح هنالك جوهر واحد في الكون، مادة واحدة يتكون منها كل شيء وضمن ذلك المركز الكامن نفسه، وهنا يشير المسيحي للمرجعية النهائية الكامنة بالمرجعية المادية أو المرجعية الواحدية المادية.⁴

إن العلاقة بين ما هو مادي وما هو اعتباري في الحياة ضروري جدا، وأي خلل في حالة التوازن المطلوب في العلاقة يكون على حساب العلاقة بين أحد الطرفين، ولذلك فالتفكير المادي البحت للحياة يوقع صاحب هذا النوع من التفكير في خلل كبير وخطير في سياقات الحياة اليومية، كونه

¹ عمرو شريف: ثمار رحلة عبد الوهاب المسيحي الفكرية، ط3، مرجع سابق، ص93.

² على صديقي: الأزمة الفكرية العالمية نحو نموذج معرفي توحيدي بديل، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة، الرباط، المغرب، 2015، ص5

³ المسيحي: العلمانية والحدأة والعولمة، مصدر سابق، ص 87.

⁴ المسيحي: اليهود واليهودية والصهيونية، ج1، مصدر سابق، ص 57.

سيفقد تماما ما هو روحي ومعنوي، وهذا ما يبيح له القتل والتدمير والطغيان والظلم نتيجة التفكير المادي البحت الذي يفقد من ممارسه إنسانية الإنسان ويجعله ماديا في كل شيء.¹

عند فقدان الحدود الفاصلة بين الإله ومخلوقاته ونزع القداسة عنه، يتحول العالم أو الكون إلى فوضى تسوده، حيث يفقد الإنسان القدرة على التمييز بين العدل والظلم الخير والشر وتضمحل القيم الأخلاقية والإنسانية والجمالية وبهذا يحى الإنسان حياة مثله مثل سائر الكائنات الأخرى يخضع للمادة وحتمياتها.

أ.النظم الإنسانية الهيومانية: هي نسق من الآراء المبنية على الاحترام وكرامة الإنسان والاهتمام برفاهيته وتطوره الشامل، وخلق الظروف الملائمة للحياة الاجتماعية، وهاته النظم لا تعرف بالضرورة بوجود الإله، وترى الإنسان مركز الكون المستقل القادر على تحاوزه، وبالتالي أسبقيته على الطبيعة/ المادة.²

يتضح على حد قول المسيري أن الإنسان الهيوماني يهمل وجود الإله وإن وجد لا يعترف به في تسيير شؤون دنياه وبالتالي فهو مرجعية ذاته.

1.1. الطبيعة ووحدة الوجود: يشكل مفهوم الطبيعة مفهوما أساسيا في الفلسفات المادية الغربية التي تدور في المنظومة المرجعية الكامنة، فلها قوانينها الثابتة المطردة المعقولة و أنها كل مادي ثابت متجاوز للأفراد له غرض وهدف ولذا فهي مستودع القوانين المعرفية التي يستمد منها الإنسان معياريته،³ فالطبيعة هي منهل الإنسان التي يستمد منها جميع مقومات الحياة، فهي نظام شامل تنطوي تحته كل الأشياء.

أما عن الإنسان الطبيعي فهو جزء لا يتجزأ من الطبيعة إذ في المسيري "الإنسان الطبيعي إنسان أحادي البعد... سلوكه يتبع نسقا منطقيا واضحا يمكن التنبؤ به".⁴

¹ محمد رفعت: أمريكا بين الحقيقة والوهم، دار إثراء، ط1، الأردن، 2008، ص 24.

² المسيري: الحادثة وما بعد الحادثة، مصدر سابق، ص 363.

³ المسيري: فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، نهضة مصر للطباعة، ط1، القاهرة، 1998، ص16.

⁴ المسيري: دراسات معرفية في الحادثة الغربية، مصدر سابق، ص19.

أما عن وحدة الوجود فهي سمة بارزة في المنظومات المادية الغربية التي لا تؤمن بوجود إله خالق لهذا الكون، فدعاة وحدة الوجود برأي المسيري يلقون المسافة التي تفصل الخالق عن مخلوقاته فيحل الخالق فيها ويتوحد فيتأله الإنسان، وبذلك يصبح مركز العالم (المبدأ الواحد) حال وكامن فيه.¹ وبالتالي وحدة الوجود التي تقول بها المنظومة المادية الكامنة تلغي كل الثنائيات وتمنع المقدرة على التجاوز.

1.2. الوثنية: طغت على الحضارة الغربية صفة الوثنية وتغلغلت في عمق الإنسان الغربي وسيطرت على نمط حياته وحولته إلى إنسان وثني لا يتعامل إلا مع الأشياء المادية فسار وفق آلياتها وأصبح مدعنا وخاضعا لها دون وعي أو بوعي منه في بعض الأحيان.

والوثن كما يبدو في فكر المسيري أنه شيء مادي سواء كان طبيعيا أم ماديا، والذي يتصور الإنسان أنه يجسد روحا وأنه ذو أثر سحري وقوة غامضة من شأنها أن تؤثر في مقدار الناس بالنفع والضرر لكن في الأديان الماركسية الإنسان ينظر التوثن للسلعة باعتبارها شيء وليس نتاج جهد إنساني وإنما شيء مستقل عن الإنسان وهذا ما يشكل قمة التغيير عن المرجعية المادية الكامنة في السلعة والتي تجب كل المرجعيات المتجاوزة بما فيها المرجعية الإنسانية.²

الثنائية الصلبة : يطلق عليها المسيري الثنوية والإثنينية فهي تفترض تساوي عنصرين تساويا كاملا رغم وجود الصراع بينهما أي صراع بين عالمين مختلفين، عالم متمركز حول الذات الإنسانية التي تصبح مرجعية ذاتها ومرجعية الكون بأسره وعالم آخر متمركز حول الموضوع الطبيعي/المادي كذلك يصبح مرجعية ذاته ومرجعية الكون، وإن حدث تساويا بينهما يظهر التكامل بدلا من الصراع كما تدعيه هاته الثنائية أي الثنائية الصلبة، ومن أهم أشكال الثنائية الصلبة في النظم المادية ثنائية "الإنسان والطبيعة"، إذ يحل الإله في الكون ثم يختفي ويصبح مركز الكون داخله، فيتأله الإنسان

¹ المسيري: ثقافة ومنهج (حوارات المسيري)، مصدر سابق، ص361.

² المسيري: دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مصدر سابق، ص 66.

وتأله الطبيعة فتأله الإنسان يعني أنه يسبق الطبيعة، أما تأله الطبيعة يعني أنها تسبق الإنسان و بالتالي تستوعبه.¹

ولكن تأليه الإنسان وأسبقته على الطبيعة يعني أنه يحاول هزيمتها ويجعلها تسخر في الأسبقية، وهذا لا يحدث لأن الطبيعة هي أكثر شمولية من الإنسان وأكثر مادية، لأن الإنسان فيه الجانب الروحي والجانب المادي وعادة الجانب الروحي هو الأقوى في الصراع مع الجانب المادي،

النزعة الجينية: تعتبر هاته النزعة كامنة في النفس البشرية وأصلية فيها، ويتصور المسيري هاته النزعة في قوله: "فهي الرغبة في الهروب من عبء الهوية والتركيبية والتعددية الخصوصية والإنسانية المشتركة والقيم الأخلاقية والإنسانية العالمية والحدود... والزمان والمكان والمقدرة على التجاوز حتى يعود الإنسان إلى عالم الطفولة الأولى والإنسان الطبيعي ، بل إلى ما قبل الطفولة الأولى، حينما كان جنينا، عالم سائل بسيط لا يوجد فيه أي حاجة للتجاوز إذ لا أبعاد له ولا توجد فيه كليات أو مطلقات أو ثوابت. عالم يهبط الإنسان فيه ويستقر في قاعه، لا يوجد فيه زمان أو ثغرات أو جدل أو حدود أو صراع أو فارق بين المثير والاستجابة وعالم بلا ذاكرة ولا قيمة فيه ولا قداسة ولا دناسة ولا عدل ولا ظلم ولا حق ولا حقيقة عالم من الصيرورة الدائمة التي تشكل الثبات الوحيد"²

والإنسان بهذه النزعة يحاول الهروب من واقعه الإنساني المليء بالتدافعات، حيث يأمل العودة إلى عالمه الرحمي الذي أتى منه، عالم بلا قيود ولا حدود، ولا وجود لفاصل مادي أو معنوي يمنعه عن رحم أمه.

¹ المسيري، اليهود واليهودية والصهيونية، ج1، مصدر سابق، ص68.
² المسيري، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مصدر سابق، ص 23.

المبحث الثاني: الفلسفة المادية وسر جاذبيتها.

1. مفهوم المادية عند المسيحي: انطلق المسيحي في صياغة تعريفًا للفلسفة

المادية من ملاحظتين اعتقد بأنهما أساسيتان، بغرض منع تميع التعريف عن غير الوجهة المحددة له:

- اعتبر مفهوم الطبيعة أساسي في الفلسفة المادية التي تدور في إطار المرجعية الكامنة، وهو تفسير مذهب يحل محل كلمة المادة، لذلك فكلمة المادة يجب أن تحل محل كلمة الطبيعة، بهدف فك شفرة الخطاب الفلسفي الغربي.

- المادية لا علاقة لها بجمع المال أو بالإقبال عليه كما قد يتوهم البعض، ويمكن للإنسان المادي المغالي في ماديته أن يكون زاهدا تماما في النقود والدنيا كما هو الحال مع انجلز واسينوزا.¹

وبناء على هذا يعرف المسيحي الفلسفة المادية قائلا: "هي المذهب الفلسفي الذي لا يقبل سوى المادة باعتبارها الشرط الوحيد للحياة، (الطبيعة البشرية) ومن ثم فهي ترفض الإله كشرط من شروط الحياة، كما أنها ترفض الإنسان نفسه إن كان متجاوزا للنظام الطبيعي/المادي، لذا فالفلسفة المادية ترد كل شيء في العالم (الإنسان والطبيعة) إلى مبدأ مادي واحد وهو القوة الدافعة والسارية في الأجسام الكامنة فيها والتي تتخلل في أثنائها وتضبط وجودها"²

ونحن نذهب لخلاف ذلك، فالإنسان بلا شك يعيش في عالم المادة، وجزء منها وليس جزء لا يتجزأ منها، فالإنسان يحوي بداخله جوانب تتجاوز السقف المادي الذي تدعيه الفلسفات المادية، وحتى وإن أولت الأسبقية للطبيعة/المادة، على الكيان الإنساني، وأنكرت وجود الإله وجعلت الإنسان الغربي حبيس العالم المادي، فلا يمكنها أن تسيطر الجانب الروحي الذي يعوق الخير المادي ومجاليه.

¹ المسيحي: اليهود واليهودية والصهيونية، ج1، مصدر سبق ذكره، ص75، 76.

² المسيحي: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مصدر سابق، ص20.

كما أن المعرفة عند الماديين ليست سوى انعكاس الواقع الخارجي في دماغنا عبر احساساتنا، وتراكم المعطيات الحسية على صفحة العقل البضاء، ويمكن للإنسان أن يكتسب المزيد من المعرفة من خلال التجريب ومراكمة المعلومات في ذاكرته وهو ما يعرف بالعقل المادي عكس العقل الإنساني.¹

وعلى هذا عملت الفلسفة على توحيد الإنسان بالطبيعة وردت كل جوانبه إلى الطبيعة، وافترضت أسبقيتها عليه، وتحول من إنسان مركب ذو أبعاد مختلفة إلى إنسان ذو بعد واحد خاضع لحتمياتها، يعيش في عالم خال من أي قيم أو أعباء أخلاقية.

أسس الفلسفة المادية: قامت الفلسفة المادية على أسس صارمة وشكلت وحدتها وقوتها ترابط أفكارها بشكل منطقي جعلها لا تؤمن إلا بما هو محسوس مادي وتنفي ما ليس له علاقة بذلك.

ومن أهم الصفات الأساسية التي تشكل في مجموعها أساس الفلسفة المادية هي كالتالي:

- الإيمان بوحدة الطبيعة: فالطبيعة شاملة لا انقطاع فيها ولا فراغات فهي الكل المستقل وما عداها مجرد جزء ناقص فهي لا تتحمل وجود أي مسافات أو ثغرات أو ثنائيات.
- الإيمان بقانونية الطبيعة: أي أن الطبيعة بأسرها متسقة مع بعضها خاضعة لقوانين واحدة ثابتة منتظمة صارمة مطردة آلية وحتمية قوانين رياضية عامة واضحة.
- الإيمان بأن الطبيعة تتحرك بشكل تلقائي وبأن الحركة أمر مادي.
- اللاغائية في العالم المادي: فالطبيعة قوة متعينة لا تكثرث بالخصوصية ولا بالتفرد أو بالظاهرة الإنسانية ولا بالإنسان الفرد أو اتجاهاته أو رغباته، وذلك لأن الإنسان لا مكانة خاصة له في الكون فهو لا يختلف في تركيبه عن بقية الكائنات.

¹ أسئلة الهوية، عبد الوهاب المسيري، موقع الجزيرة نت، تاريخ النشر 2007/8/2، <http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2007/08/02>.

• عدم وجود غيبيات أو تجاوز للنظام الطبيعي من أي نوع، فالطبيعة تحوي بداخلها كل القوانين التي تتحكم فيها وكل ما تحتاج إليه لتفسيرها، فهي علة ذاتها، توجد في ذاتها مكثفية بذاتها وتدرك ذاتها وهي واجبة الوجود.¹

شكلت هاته الأسس دعامة لقيام الفكر المادي، وركزت على الجانب المادي الكامن في الإنسان، وعلى أساسها تحدد مرجعيته، لأن مخاطبة الإنسان في نوازعه المادية تجعله سريع الاستجابة وسهل المنال.

يؤكد ذلك المسيري بقوله: "إن الفلسفة المادية تتعامل مع الإنسان من خلال قانون الجاذبية ومن السهل على الإنسان أن يسقط في الوحل على أن يصعد إلى النجوم أو حتى يتطلع إليها، فالسقوط أسهل شيء لأن قانون الجاذبية يساعد على ذلك".²

وبذلك حسب المسيري يصبح العقل غير قادر على تجاوز حدود المادة، ويسوي بين جميع الأشياء، ولا يكمن في إطار المادة، أن يميز بين الظواهر الإنسانية والظواهر الطبيعية، أي يكون سبب في اختفاء وتلاشي الثنائيات الأساسية في الكون لأنه لا يعترف وفق المنظومة المادية بالأخلاق أو المقدسات، أي أنه يعترف فقط بالحقائق المادية (الحجم، الكثافة...) وبالتالي يعمل على اختزال الواقع واستبعاد مفهوم الإنسانية بكل ما تحتويه، وتسيير الإنسان الغربي أو العالم الغربي، بل العالم كله في الإطار المادي فقط.

وهذه المنظومة المادية كما يؤكد عليها المسيري، تنظر للواقع الإنساني كأنه واقع طبيعي يخضع للقوانين الطبيعية والعلمية العامة، وما لا ينصاع لهذه القوانين يصنف على أنه غير موجود، أو موجود بشكل شخصي لا يستحق الدراسة أو يجري الضغط عليه ليدخل في النسق المادي.³

¹ المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مصدر سابق، ص 19.

² المسيري: العلمانية والحدائق والعولمة، مصدر سابق، ص 205.

³ نادية رفعت: النماذج الإدراكية والنموذج الانتقاضي، ضمن عالم عبد الوهاب المسيري، (حوار نقد حضاري) تق: محمد حسنين هيكل، تح: أحمد عبد الحليم عطية، م2، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2004، ص 10.

2. أقسام الفلسفة المادية: عمد المسيري في تقسيم الفلسفة المادية من ناحية

مراحل ظهورها وتحققها على أرض الواقع، وليس من حيث تباين أشكالها وتعدد مذاهبها، لأنه يدرك أن جوهرها مادي مهما كانت سواء متطرفة أو معتدلة، فمرجعيتها واحدة هي المرجعية المادية الكامنة.

قسمها إلى مادية قديمة ومادية جديدة:

❖ المادية القديمة: هي المادية التي تستند إلى العقلانية المادية ، أي الإيمان بأن

العالم يحوي بداخله ما يكفي لتفسيره دون الحاجة إلى وحي أو غيب،¹ وأن العقل مستقل بذاته، قادر على التفاعل مع الطبيعة أو الوصول إلى القوانين الكامنة في المادة، ويمكن انطلاقاً منها تطوير منظومات معرفية وأخلاقية ودلالية وجمالية تهديه في حياته، ومن آليات العقلانية المادية استنادها على العقل المادي فهي تؤدي إلى هيمنة قوانين الطبيعة/المادة، وقوانين الأشياء على الإنسان.²

فالعقل المادي محكوم بحدود المادة ولا يمكن له أن يتجاوزها، فهو يستبعد الإنسان ويسلبه كيانه وجوهره ويرده إلى عالم الطبيعة/ المادة، ومن يمتلك هذا العقل فهو إنسان غير إنساني أو فاقد لإنسانيته السمة التي يتصف بها ويتميز بها عن غيره من بقية الكائنات.

❖ العقلانية الجديدة: يعتبرها المسيري ليست جديدة تماماً وإنما أدركها

السوفسطائيون من قبل، فهم أصحاب الفلسفات المادية العدمية، لا يجدون سوى الحركة التي تتمرد على فكرة الإله المفارق وترفض كل الكليات والتجاوز والحدود التي تحدد الإنسان كإنسان وتفصله عن الكائنات الطبيعة فوظيفتها هي إذابة الإنسان ككائن متجاوز للطبيعة/المادة، وكمقولة مستقلة،³ فالمادية الجديدة هي ثورة على العقلانية المادية، وثورة على

¹ المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مصدر سابق، ص40.
² المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، م1، مصدر سابق، ص462.
³ المسيري: دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مصدر سابق، ص 128.

المتافيزيقا الإيمانية وحتى المادية، وإلغاء فكرة التجاوز والثبات ونفي الإنسانية مني عالمها المادي اللاعقلاني.

وقد تجسد ما يسعون إليه الماديون الجدد في اللاعقلانية المادية، التي هي تعبير عن تبلور نزعة تجريبية محضة ترفض الكليات الإنسانية والعقلية وتلتصق تماما بحركة المادة وعالم الحواس وتجمد الإرادة الفردية على حساب أية مفاهيم إنسانية كلية.¹

إن المادية الجديدة كامنة في القديمة ومع هذا فهي تختلف عنها جوهرياً، فمن أهم إفرزات اللاعقلانية المادية هي ما بعد الحداثة، والانتقال من التحديث إلى الحداثة، وإلى ما بعد الحداثة هو الانتقال من العقلانية المادية التي تربط بين التجريب والعقلانية في مرحلة المادية القديمة (الصلبة) إلى اللاعقلانية المادية التي تفصل بينهما فيتم التجريب دون ضابط وإطار مرحلة المادية الجديدة والسيولة الشاملة.²

مظاهر الفلسفة المادية:

● **الداروينية:** ترجمة لكلمة داروينيزم Darwinism مشتقة من اسم تشارلز داروين ، هي من أكثر الفلسفات شيوعاً للمادة، فقد رسخت أفكار الواحدة المادية التي تقول أن العالم ما هو إلا مادة واحدة صدر عنها كل شيء³، فالداروينية تمارس حصاراً على الإنسان الغربي، حولته إلى مادة استعمالية، إذ تم ترشيده من الداخل والخارج في بنيته الاجتماعية والإنسانية والتحكم فيها، فالرؤية الداروينية متحررة تماماً من القيم، والقيمة الوحيدة التي تؤمن بها القوة والآلية الوحيدة هي الصراع⁴، فمنظور الداروينية أن كل القوانين التي تسري على عالم الطبيعة، هي نفسها القوانين التي تسري على الإنسان والمجتمع.

● **الداروينية الاجتماعية:** هي فلسفه علمانية شاملة عقلانية مادية تؤكد وجود قانون طبيعي واحد يسرى على كل الظواهر فقررنا دعاء الداروينية الاجتماعية أن العلاقة بين الكائنات الحية في الطبيعة لا تختلف عن العلاقة بين الأفراد داخل المجتمعات

¹ المسيري: اليهود والصهيونية، مصدر سابق، ص 84.

² المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مصدر سابق، ص 50

³ أبو معقودة حفيظة: الإنسان بين الفلسفة المادية وفلسفة التجاوز، مصدر سابق

⁴ جواد المنظوري: في الإضافات المسيرية النوعية، للمشروع العربي الإسلامي، مجلة المسلم المعاصر، العدد 129، الثلاثاء 30 أيلول 2008، 9:12، لبنان، ص 247.

الانسانية ولا عن العلاقة بين المجتمعات والدول وقد وظفت أيضا في تبرير التفاوت بين طبقات المجتمع الواحد.¹

تعد الداروينية واحده من ابرز النظريات الاجتماعية التي تولدت كنتيجة مباشرة ظهور ومذهب التطور الطبيعي من قبل العالم تشارلز داروين التي تعمل على تفكيك الإنسان باعتباره الجزء الخاضع للطبيعة المادية ضمن نظام كوني لا مرجعيه له، فرأت الحياة مجرد تطورات تسبب فيها المادة ومن يحكم السلوك الإنساني في نظر الداروينية هو التنافس والصراع من أجل البقاء كحافز وحيد للعمل والإنتاج في اعتبار الإنسان حيوان متطور يتضمن افتراضه كمخلوق شرير يحمل نزعة عدوانية فهي سلاحه الآكد في محاربة الآخرين وشق طريقه نحو النجاح ليكون الأصلح الأقوى الذي تنتخبه الطبيعة وتصفطيه فيضمن البقاء.

إن افتراض نزعة العدوانية وعلاقات الصراع مع الآخرين والكون من حولهم آلت بأصحابها إلى نهب مقدرات الكون التي تعد مشاكل التلوث البيئي جزء منها.²

العلمانية الشاملة: إن مصطلح العلمانية مبهم و مختلط وغير واضح عند الغرب والعرب وهو يشير إلى أكثر من مدلول وبحسب المسيري لو كان الأمر بيده لاستنفر عنه واستخدم مصطلحات أخرى أكثر دقة وشمولا مثل: الواحدية المادية و مصطلح نزع القداسة³، فهو يرى أن العلمانية في الواقع غير محددة المعالم مجهولة الحلقات ليس لها وجود خارج واقع اجتماعي حضاري محدد له خصوصيته.⁴

عرف المسيري العلمانية الشاملة بأنها رؤية ذات بعد معرفي شامله لكل العالم تحاول بكل صرامة تحديد علاقة الدين والمطلقات الماورائية (الميتافيزيقا) بكل مجالات الحياة.⁵

فقد ساهمت العلمانية الشاملة في عزل الإنسان عن مضمون الاجتماعي وجانبه الروحي وهو يحمل داخله ما يتنافى مع كينونته فجعلته يفتقد الأمن في الحياة في ظل ما تمليه

¹ بليل عبد الكريم: الداروينية الاجتماعية الحديثة، 2011/01/15، موقع www.aluluka.net

² الرفاعي عبد الله: المؤثرات الفكرية على التنشئة الأسcherية وسبل مواكبتها، تيارات الداروينية الاجتماعية وقيم ما بعد الحداثة نموذجا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دط، الأردن، 2013، ص 10.

³ المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، م1، مصدر سابق، ص 50

⁴ المسيري: العلمانية تحت المجهر، دار الفكر، ط1، دمشق، 2000، ص 24.

⁵ مج، نق: محمود ربوح، العلمانية والسجلات الكبرى في الفكر العربي المعاصر، ابن نديم، ط1، الجزائر، 2015، ص 178.

عليه، وتعتبر العلمانية أنها ليست مجرد تعريف ثابت وإنما ظاهره لها تاريخ وتظهر من خلال حلقات مشابجه لذلك فهي متتالية بدأت بالجزئية لتصل إلى الشاملة عبر مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: حل فيها الإنسان مركز الكون وبالتالي فهو مرجعيه ذاته ويصبح فيها الإله مهمشا المرحلة الثانية: الإنسانية يعيش داخل الطبيعة و الإله قد زحزح من الطبيعة ومعنى هذا إن الإنسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة وبالتالي أصبح مركز الكون هو الطبيعة/المادة وليس الإنسان.

المرحلة الثالثة هي مرحله المادية أسائله حيث ينتفي فيها المركز والحدود وبالتالي العلمانية الشاملة عبارة عن حلقات متتالية جعلت الإنسان هو المطلق العلماني و مركز الكون والمرجعيه النهائية المادية لكن مع تصاعد معدلات الترشيح والحوسبة بدأ يتراجع كنقطة مرجعيه فظهرت مطلقات علمانية غير إنسانية وهذا لا يتم إلا بطريقه تدريجية يتم فيها القضاء على إنسانية الإنسان و نزع القداسة عنه وإخضاع كل شيء لقوانين الطبيعة/المادة حتى يتمكن من خلالها للوصول إلى اليوتوبيا التكنوقراطية المنشودة أو نهاية التاريخ.¹

وبالرغم من أن العلمانية أصبحت اليوم أكثر مواكبة للعقل وتتبنى رؤية عقلانية حديثة في فهم العالم المادي والنظر إليه،² إلا أنها عاجزة عن الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها الإنسان الغربي فكان الفراغ الروحي الذي يعيش الغرب هو فراغ اللاأدبية واللامبالاة.³

الامبريالية النفسية: مصطلح يرد في الكثير من الكتابات الغربية دون تسميته فهي كامنة ضمن متتاليات الحداثة المنفصلة عن القيمة وفي اقتصاديات السوق الحر فكونها النموذج الذي يسيطر على الحضارة الغربية وحرك جماهيرها وحكوماتها أدى في النهاية إلى ظهور المسالة اليهودية وإلى ظهور الحركة الصهيونية و إلى وجود ما يسمى بالمسالة الغربية وهي إشكالية ناجمة عن تفجير رغبات الإنسان الغربي الاستهلاكية المادية أو تصاعدها المتزايد إلى درجه تتجاوز مصادر أولية الطبيعة ومصادر العالم بأسره فطرح العالم الغربية حلا امبرياليا

¹ مج: نق: بشير ربوح، العلمانية والسجلات الكبرى في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 179.

² حبيب الله حسين صافي: الحضارة والحداثة في الفكر العربي المعاصر، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، بيروت، 2014، ص

69.

³ محمد عمارة: الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2003، ص 179.

لمسألته الغربية تتلخص في تحويل العالم بأسره إلى مادة استعمالية يوظفها لصالحه،¹ إلا أن هذا الحل الذي تبنته الحضارة الغربية هو حالة من غياب الاتساق مع الذات في حضارة ليبرالية إنسانية مستمرة ارتضت الديمقراطية فلسفة للحكم والتنافس الاقتصادي كما تبنت العقلانية و الإنسانية فلسفه للكون.²

فهذا يعني أن الامبريالية النفسية تستهدف النفس البشرية بالدرجة الأولى في محاوله منها لإشباع جميع رغباتها عبر الاستهلاك اللامحدود أي إن يظل الإنسان داخل دائرة الاستهلاك ولا يخرج منها مما يتسبب في فقدان السعادة والطمأنينة والاستقرار النفسي الذي يبحث عنه في إطار النزعة الاستهلاكية الطاغية على حياته وتفكيره.

اللحظات النماذجية الكبرى:

اللحظة السنغافورية: نسبة إلى سنغافورة وهي بلد صغير في آسيا يتسم بأنه بلا تاريخ ولا ذاكرة تاريخيه ولا تقاليد حضارية أو منظمات قيمية راسخة ولذلك فمن الممكن ببساطه تجاهلها كلها وتهميشها حتى يتحول الإنسان إلى وحده اقتصادية قادرة على الإنتاج والاستهلاك والبيع والشراء وبالتالي يتحول البلد إلى مجموعه من المحلات والسوبر ماركات والفنادق والمصانع، ينظر الناس إلى أنفسهم لا كبشر وإنما كوححدات إنتاجيه الاستهلاكية كما إن الدعوة إلى السوق الشرق أوسطية في العالم العربي الإسلامي هي دعوة إلى تحويل بلاد العرب والمسلمين إلى محلات سوبر ماركات.³

اللحظة التايلاندية تعبر عن الإنسان ذو البعد الواحد خاضع تماماً لحتمياته الغريزية وأهدافه في الحياة لا تخرج عن إطار تحقيق المتعة واللذة وهذا راجع لقوة وسيطرة قطاع البناء في تايلاند إذ يعد من أهم مصادر الدخل القومي وتكون فيه لوبي قوي من ملوك البغاء والمخدرات حتى أصبح مستحيل تخيل تايلاندا بدون هذا القطاع.⁴

¹ عبد الوهاب المسيري: مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي، دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا، 2003، ص77.

⁴ المسيري: الإمبريالية النفسية، موقع الجزيرة نت، تاريخ النشر، 05/04/2007
http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinion/2007/04/05/

³ المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، م1، مصدر سابق، ص246.

⁴ المسيري: اليهود واليهودية والصهيونية، ج1، مصدر سابق، ص 295.

اللحظة النازية: تعبر عن الإنسان الطبيعي المادي كماده محض وكقوة امبريالية مادية كاسحة فالمجتمع النازي كان يعتبر الإنسان كائنا طبيعيا مرجعيته النهائية الطبيعية/المادة ومرجعيه الأخلاقية مادية إرادة القوه ولذا نظر إلى البشر جميعا باعتبارهم ماله استعماله يمكن توظيفها ويقوم الأقوى والأصلح بهذه العملية لصالحهم وبالتالي تمت إبادة بعض البشر غير النافعين ممن لا يمكن إصلاحهم وتحويلهم إلى عناصر منتجه وذلك وفق منظور مادي علمي مرشد¹ فكل هذه اللحظات النموذجية الثلاث لا تعترف إلا بالطبيعة/المادة وتعتبرها المرجعية الوحيدة تحول الإنسان إلى مادة نافعة وبالتالي تنزع القداسة عنه وتجرده من إنسانيته.

سر جاذبية الفلسفة المادية: انتشرت الفلسفات المادية بشكل رهيب بين الناس نظرا لمغرياتها العديدة التي وجد فيها الإنسان وإبراز غرائزه النائمة، ذلك لأن النفس البشرية لا تبحث سوى عن لذتها و منفعتها ، و بتحقيق رغباته المادية تجعله يرتاح نفسيا و يعيش في بساط خال من أية تعقيدات أو تدافعات، و لا يحوي أية ثنائيات لأن المادة قد سيطرت و اختزلته في جانب واحد مادي فقط .

المستوى المعرفي الاستمولوجي: التفسير المادي للظواهر سهل إذ يمكن الحصول على المعلومات عن العالم المادي بشكل سريع وقياسي، فالترابط بين الظواهر أمر يمكن رصده بشكل موضوعي محسوس، وحركة المادة نتيجتها مباشرة وتجربة الطفل مع جسده وهو أول شيء يدعه يشجع على التفسيرات المادية.²

من السهل قياس الظواهر الطبيعية في الكون وتفسيرها وإخضاعها للتجربة، لكن من الصعب تطبيق نتائجها على الإنسان ودراسة سلوكه كما تدرس حركة الظواهر الطبيعية وهذا ما أكد عليه المسيري في قوله: "أما العناصر غير المادية في الواقع (مثل العقل الخيال السببية غير المباشرة الظواهر التي يمكن رصدها بشكل غير مباشر) فإن اكتشافها يتطلب أعمال العقل والتجريب وهو أمر صعب على كثير من البشر"، وهكذا فإن التفسيرات المادية راسخة في التجارب الأولى للإنسان بعد خروجه

¹ المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، م1، مصدر سابق، ص248.

² المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مصدر سابق، ص 25.

من رحم أمه فهو يجد راحة غير عادية فيها إذ لا يضطر إلى التجريب والتجاوز إذ لا مساحات ولا ثنائيات.¹

المستوى النفسي السيكلوجي: تحول الفلسفات المادية الإنسان إلى جزء من كل أكبر فلا يوجد هوية له أو حدود أو إرادة أمام الكل المادي الذي يرد إليه وهذا يبين أن الفلسفة المادية تنكر الهوية الفردية المستقلة والمسؤولية الخلقية والاختيار الحر وفي واقع الأمر أن الامتزاج الكامل بالطبيعة/المادة والدوبان فيها هو شكل من أشكال فقدان الوعي التام والهوية والحدود وهو ما يسميه المسيري النزعة الرحمة وانتصار الذات على الموضوع وهذا هو الإغراء الذي يهدد إنسانية الإنسان.²

فالإنسان كجزء من نظام كل أكبر كما تعتبره الفلسفات المادية، يصبح شأنه شأن الكائنات الطبيعية الأخرى جزء من النظام الطبيعي، لا يمكن تجاوزه فيصبح سلوكه يتبع نسقا منطقيا واضحا يمكن التنبؤ به، وبالتالي يمكن اختزاله إلى صيغ كمية ومعادلات رياضية بسيطة، كما يمكن تفسيره من خلال مقولات مادية محضة، وبالتالي لا اعتبار لأفكاره وتاريخه وشعوره، مثل الفرح الحزن الشوق الحنين، يصبح مجرد وهم لا يفسر إلا وفق منظور طبيعي/المادة وقوانينها التي تعرضها عليه.

من نظر المسيري المنظومات المادية تحوي دائما تناقضا أساسيا، فهي تبدأ بتأكيد الخاص والمباشر والملموس، ثم تتجه تدريجيا نحو القانون المادي العام المجرد والمبدأ الواحد الكامن وراء كل الظواهر فتبدأ كل الظواهر القومية العلمانية بتأكيد أسبقية الإنسان القومي على الإنسان الطبيعي، لكن المنظومات المادية عادة ما تؤكد بشكل قاطع أهمية الإنسان الطبيعي وتكتسب شرعيتها أمام جماهيرها من خلال تأكيدها، لذلك تدريجيا تظهر أجيال جديدة لا تهتم بالزخارف القومية أو بالطريق الخاص وتحرك مثل حركة المادة تماما نحو الطبيعي والعام والنمطي وغير المتجانس، ويبدأ الحديث عن طريق إشباع الرغبات الاقتصادية والجنسية خارج إطار أي منظومات متجاوزة، فتسقط الخصوصية ويظهر الإنسان الطبيعي العام الذي لا يبحث إلا عن راحته أو عن الإشباع الفوري.³

¹ المصدر نفسه.

² المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مصدر سابق، ص 26.

³ المسيري، الأمركة والكوكلة والعلمنة، موقع الجزيرة نت، 2007/05/29. <http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinion/2007/05/29/>

المبحث الثالث: الظاهرة الإنسانية وسماتها.

1. الظاهرة الإنسانية: يركز المسيري في جل كتاباته على الإنسان وعلى قيمه النبيلة وغاياته التي وجد من أجلها في هذا الكون، بعد أن اختزلته الفلسفات المادية في صفته الطبيعية فقط وأهملت الجوهر الإنساني فيه.

ويؤكد ذلك في قوله: "إن مشروعني له بعد إنساني عام اكتسب التوجه الرباني بعد انتقاله إلى رحابة الإيمان ولقد تبدى هذا التوجه في كل مراحل مشروعني الحضاري الفكري، سواء حين كتبت عن الصهيونية أو عن الأدب أو قصص الأطفال أو حتى غيرت معمار منزلي وأثاثه".¹

إن الإنسان كائن مختلف ومنفرد عن باقي المخلوقات التي أوجدها الله، يتميز بالسر الإنساني الذي بثه الخالق فيه مما جعله ظاهرة فريدة مركبة وليست بسيطة أحادية كما تدعي الفلسفات المادية، فالحياة الإنسانية مركبة ومفعمة بالأسرار والثنائيات وليست بسيطة أو سطحية أو أحادية.

يرى المسيري أن الإنسان كائن حر يصنع التاريخ، جزء من الطبيعة ومستقل عنها لا يمكن أن يرد لها كائن له منتجاته الحضارية التي تمنحه خصوصياته القومية والتي تحوله من كائن طبيعي إلى كائن حضاري،² فثمة مواطن اختلاف جوهري بين الإنسان والطبيعة، فالإنسان يحوي داخله من التركيب ما يمكنه من تجاوز عالم الطبيعة/المادة ومقدرته على هذا التجاوز هي سبب ونتيجة في الوقت نفسه لمركزته في الكون، إذ يتحدث الإنسان الذي يؤكد جوهره الإنساني باسم كل البشر ولكن في غياب أية مرجعية متجاوزة لذاته الفردية.³

¹كمال حبيب: الفكرة الإسلامية وآفاق قبولها عند المسلمين، مجلة المسلم المعاصر، العدد 129، الثلاثاء 30 أيلول/سبتمبر 2008.

² المسيري: رحلتي الفكرية، ط1، مصدر سابق، ص 232.

³ المسيري: قضية المرأة بين التحرير... والتمركز حول الأنثى، نهضة مصر، ط2، القاهرة، 2010.

فمفهوم الفردية اعتلى الحضارة الغربية كردة فعل على المؤسسات الدينية وأدى إلى ظهور الرأسمالية القائمة على استغلال الإنسان، خاصة الإنسان¹ الغربي الذي يصنف ضمن المجتمع الاستهلاكي وينطلق من رصيد تاريخي كبير تمثل في الثورات الصناعية والاجتماعية والثقافية.²

2. سماتها: عمل المسيري على التمييز بين الظاهرتين المادية والإنسانية وإبراز الاختلاف بينهما، فالظاهرة الإنسانية كما يراها متداخلة بين عناصر مادية ونفسية وراثية وثقافية مما جعله يوليها اهتماما كبيرا وقد أحصى ميزاتهما كالتالي:

- الظاهرة الإنسانية مكونة من عدد غير محدود تقريبا من العناصر التي تتميز بقدر عال من التركيز ويستحيل تفكيكها لأن العناصر مترابطة بشكل غير مفهوم لنا،³ فتفتتت الظواهر الإنسانية ودراستها أمر منتشر في بعض الأوساط الأكاديمية التي تتزين بلباس العملية وتدعي الموضوعية.⁴

- صعوبة تحديدها وحصر كل أسبابها، فقط تعرف بعض الأسباب لا كلها، ولكن بعض الأسباب تكون متداخلة متشابكة، ولذا يتعذر في كثير من الحالات حصرها وتحديد نصيب كل منها في توجيه الظاهرة المدروسة.

- الظاهرة الإنسانية لا يمكن أن تطرد بنفس درجة الظاهرة الطبيعية لأن كل إنسان حالته متفردة، ولذا نجد أن التعميمات حتى بعد الوصول إليها تظل تعميمات قاصرة ومحدودة ومنفتحة تتطلب التعديل أثناء عملية التطبيق من حالة لأخرى.

- باطن الظاهرة الإنسانية غير ظاهرها، بسبب فعاليات الضمير والأحلام والرموز، لذا فما يصدق على الظاهر لا يصدق على الباطن، وحتى الآن لم يتمكن العلم من أن يلاحظ بشكل مباشر التجربة الداخلية للإنسان بعواطفه المكبوتة وأحلامه الممكنة أو المستحيلة.

¹ كمال عبد اللطيف: في الفلسفة العربية المعاصرة، دار شعار المصباح، ط1، الكويت، 1992، ص60.

² طيب تزيني: على طريق الوضوح المنهجي، دار الفارابي، ط1، لبنان، 1989، ص201.

³ المسيري: اليهود واليهودية والصهيونية، ج1، مصدر سابق، ص89.

⁴ أحمد عبد الحليم عطية: عبد الوهاب المسيري في عيون أصدقائه ونقاده، مرجع سابق، ص355.

- الكون الثقافي والشخصي والذاتي أساسي في بنية الظاهرة الإنسانية.
- معدل التغير في الظواهر الإنسانية سريع ويتم على مقياس تاريخي وما يطرأ عليها من تغير قد يتبع أنماطاً مسبقة ولكنه قد ينسلخ عنها.
- تتأثر العناصر الإنسانية بالتجربة التي تجرى عليها، فالأفراد موضوع البحث يحولون من سلوكه عن وعي أو غير وعي لوجوده تحق الملاحظة، فبإمكانهم أن يحاولوا إرضاء صاحب التجربة أو يقوضوا نتائجه.¹
- يتسم الإنسان بواقع مركب وعالم معقد يصعب إدراكه وبالذاتية التي تختلف من فرد لآخر كالمشاعر الأفكار النيات... التي تتصف بطابع الجدية وعدم التكرار، إضافة إلى أهم صفة أو ميزة هي أنه كائن عاقل مما يجعل كطل تصرفاته وسلوكاته لها معنى وغاية وهدف.
- أما عن الظاهرة الطبيعية و قوانينها فهي بنظر المسيري تتميز بأنها دقيقة وعامة تتخطى الزمان والمكان وهي حتمية ولكنها بعد اهتزاز الحتمية أصبحت احتمالية ترجيحية أي تقارب اليقين وتظل صالحة للاستعمال حتى يثبت بطلانها.²
- سهولة تحديد وحصر العلة أو العلل التي تكون وراء نشوء الظواهر الطبيعية.
- غياب الكون الشخصي أو الثقافي أو التراثي عنها، كما أنها مجردة من الزمان والمكان، مثل تجردها من الوعي والذاكرة والإرادة.
- إرادة الظواهر الطبيعية تقود إلى صياغة قوانين عامة يمكن التأكد من وجودها وصحتها بالرجوع إلى الواقع، ولما كان الواقع الطبيعي بطيء للتغير، فإن هذا القانون يمكن أن يكتسب مشروعيته عبر الزمان والمكان.³

¹ المسيري: اليهود واليهودية والصهيونية، ج1، مصدر سابق، ص 90.

² المسيري: اليهود واليهودية والصهيونية، ج1، مصدر سابق، ص 88.

³ علي صديقي: الأزمة الفكرية العالمية نحو نموذج معرفي توحيدى بديل، مرجع سابق، ص 21.

- الظاهرة الطبيعية وحدة متكررة تطرد على غرار واحد وبغير استثناء، إن وجدت الأسباب ظهرت النتائج.
- الظواهر الطبيعية يتم مظهرها عن مخبرها ويدل على دلالة تامة بسبب ما بين الظاهر والباطن من ارتباط عضوي شامل يوحد بينهما فيجعل الظاهرة الطبيعية كلاً معقداً تحكمه من الداخل والخارج قوانين بالغة الدقة لا يمكنها الفكك منها، ولهذا تنجح الملاحظة الحسية والملاحظة العقلية في استيعابها كلها.
- الواقع الطبيعي لا يتغير كثيراً، وبالتالي القانون العام له شرعية كاملة عبر الزمان والمكان.
- عدم تأثرها بالتجارب التي تجرى عليها سلباً أو إيجاباً، كما أن القوانين العامة التي يجردتها الباحث والنبوءات التي يطلقها لن تؤثر في اتجاهات مثل هذه الظواهر، فهي خاضعة تماماً للبرنامج الطبيعي.
- إمكانية التجارب المباشرة على العناصر الطبيعية وقياسها ، فهي تخلو من الاستثناءات و التركيب و الخصوصيات ، كما يمكن التوصل إلى قوانين عامة تتسم بالدقة تنطبق على الظاهرة الطبيعية.¹
- وهنا يؤكد المسيحي على الفروقات بين الظاهرة الإنسانية و الطبيعية و يرفض التسوية بينهما ، لأن الإنسان ظاهرة متجاوزة و فردية ذات خصوصيات ، و هذا يعني أنه لا يمكن صياغة قوانين عامة حول الظاهرة الإنسانية مثل الظاهرة الطبيعية أو إلحاقها بها .
- الإنسان قادر على صياغة ذاته و بيئته حسب وعيه الحر، و حسب ما يتوصل إليه من معرفة من خلال تجاربه،² وهذا ما يؤكد إنسانيته ويحافظ على خصوصيته كونه إنسان متفرد ومتميز عن غيره، فمن حكمة الله في خلقه للإنسان جعل صفات تبدو في الظاهر متضادة ومتناقضة مثل: صفة

¹ المسيحي: اليهود واليهودية والصهيونية، ج1، مصدر سابق، ص 89 - 90.

² المسيحي: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مصدر سابق، ص 16.

الحب مع البغض، والخوف مع الرجاء.... وهذه الصفات إن أعملها الإنسان في مجاله الصحيح فإنه لا يحدث بينهما أي تضاد أو صراع، بل يكون بينهما من التوافق ما يؤدي إلى سعادة الإنسان.¹

وفي ظل تغلغل المرجعية المادية بتركيزها على الكمي والبراني وتراجع المرجعية الإنسانية بتركيزها على الكيف والجواني، وتراجع البعد الإنساني الاجتماعي الذي يفترض مركزية وطبيعة إنسانية متفردة عن القوانين الطبيعية المادية، جعلت الإنسان أسير الحيز المادي ولا يتجاوزه،² وبذلك من يؤمنون بالرؤية المادية التي ترد الإنسان إلى الطبيعة/ المادة وتفكيره في إطارها فيسقطون الكثير من الأبعاد المركبة أثناء تفسيرهم للظاهرة الإنسانية ودراسة الإنسان بتركيبته المعقدة التي يصعب فهمها في الجانب المادي فقط، وإهمال الجانب الروحي فيه.

فالمسيري من خلال كتاباته يدعو لضرورة استخدام نماذج تحليلية مركبة في دراسة الإنسان وتفسير ظواهره، فهو النموذج الذي يمكنه الإحاطة بمعظم جوانب الظاهرة الإنسانية موضع الدراسة لأنه متعدد الأبعاد والمستويات، يدخل في تركيبه عدد من العناصر المتنوعة المتداخلة بل والمتناقضة، منها السياسي الاجتماعي الاقتصادي والديني والحضاري، فهو في تصوره - المسيري - تعبير عن احترام إنسانية الإنسان وتركيبته، إذ يعتبره في نهاية المطاف دفاع عن الإنسان ضد النزعات المادية العدمية التي تحاول تفكيكه ورده إلى ما هو دونه أي قوانين المادة وحركتها.³

3. حركة التمركز حول الأنثى: ظهر مصطلح Feminism الذي يرجع إلى

النسوية أو النسوانية أو الأنثوية لكن هذه الترجمة الحرفية لا تسمن ولا تغني من جوع ولا تفصح عن أي مفهوم كامن وراءها في نظر المسيري، الذي حاول تحديد البعد الكلي والنهائي لهذا المصطلح.⁴

يظن البعض أن مصطلح فيمينيزم مجرد تفريع على مصطلح women's liberation movement الذي يترجم إلى تحرير المرأة والدفاع عن حقوقها لذا حل المصطلح الجديد بدل القديم (حركة تحرير المرأة) التي تطالب بحصول المرأة على حقوقها كاملة، بالرغم من أن دعاة هاته

¹ أبو زيد محمد مكي: ظاهرة الصراع في الفكر الغربي بين الفردية والجماعية، ط1، السعودية، 2008، ص5.

² المسيري: بين الإنسان الطبيعي والإنسان الإنسان، موقع islamonline.net تاريخ نشره، 2014/04/28.

³ المسيري: دفاع عن الإنسان دراسة نظرية وتطبيقية في النماذج المركبة، مصدر سابق، ص7.

⁴ المسيري: قضية المرأة بين التحرير... والتمركز حول الأنثى، مصدر سابق، ص3.

الحركة يستخدمون خطابا تعاقديا، وقد ينظرون أحيانا للمرأة باعتبارها فردا مستقلا بذاته عن المجتمع، لا باعتبارها أما وعضوا في الأسرة وأحيانا إنسانا طبيعيا ماديا لا إنسانا إنسانا، إلا أنها لا تخرج عن الإطار المرجعي النهائي الذي هو الرؤية الإنسانية كما تفترض وجود مركزية معيارية ومرجعية وطبيعية إنسانية مشتركة، لذا فهي تتحرك في إطار من المفاهيم الإنسانية المشتركة، ولم تنزلق في التجريب اللانهائي المستر الذي لا يستند إلى نقطة بدأ إنسانية مشتركة ولا تحده أية حدود أو قيود إنسانية أو تاريخية أو أخلاقية.¹

العدالة الاجتماعية أهم مطلب لحركة تحرير المرأة ومطالبها في المساواة مع الرجل في حقوقها من أجل الحفاظ على مهام كل منهما

ولكن دخلت تطورات على الحضارة العربية غيرت من توجهها وبنيتها إذ تصاعدت معدلات الترشيح المادي للمجتمع، وزاد معدل تسلع الإنسان وتشويهه، وتصاعدت عمليات التنميط، ساهم في إزاحة الإنسان عن المركز وعن القيمة الطبيعية/ المادة، على الإنسان وهو تعبير لحركة التمركز حول الأنثى عكس ما كانت تنادي به حركة تحرير المرأة.²

فحركة التمركز حول الأنثى تؤكد الفوارق العميقة بين الرجل والمرأة وكأنه لا توجد مرجعية مشتركة بينهما، لذا أصبح دور المرأة كأم ليس مهما ومؤسسة الأسرة عبئا لا يطاق، هذا لأن المرأة متمركزة حول ذاتها تشير إلى ذاتها مكثفية بذاتها، تود اكتشاف ذاتها وتحقيقها خارج أي إطار اجتماعي، في حالة صراع أزلي مع الرجل المتمركز حول ذاته، فالمسيري أكد من خلال هاته الحركة التفكيك التدريجي لمقولة المرأة كما تم تعريفها عبر التاريخ الإنساني، لتحل محلها مقولة جديدة تماما تسمى المرأة و لكنها مختلفة في جوهرها عن سابقتها.³

حركة تحرير المرأة تدور حول قضية تحقيق العدالة للمرأة داخل المجتمع، بينما حركة التمركز حول الأنثى تقف على النقيض من ذلك.⁴ بدلا من تحقيق مطالبها في جميع مجالات الحياة ، يصبح هدفها خلق الصراع بين الذكر الذي يتمركز حول ذاته ، و الأنثى المتمركزة حول ذاتها ، في إشارة

¹ المصدر نفسه، ص 16/14.

² المصدر نفسه، ص 19.

³ المسيري: التمركز حول الانثى، مصدر سابق.

⁴ المسيري: قضية تحرير المرأة، مصدر سابق، ص 20.

منها لعدم وجوده فهي مكتفية بذاته و لا تحتاج للعنصر الذكوري في هذا العالم ! حسب ما تنادي به حركة التمركز ، و هذا دلالة على الخطر المحدق بالإنسانية و البشرية جمعاء ، و عبر تصدير مفهوم الصراع بين الطرفين ، يصبح تاريخ الحضارة البشرية تاريخ صراع بين المرأة و الرجل .

و ما يدعو للاستغراب أكثر المطالبة بإعادة صياغة كل شيء من قبل دعاة التمركز حول الأنثى: التاريخ، اللغة والرموز بل الطبيعة البشرية ذاتها، كما تحققت عبر التاريخ وكما تبنت مؤسسات تاريخية، وكما تجلت في أعمال فنية، مثل: إعادة سرد التاريخ من وجهة نظر أنثوية أي إعادة تسمية التاريخ، فهو بالإنجليزية History، الذي وجد بعض الأذكاء أنها تعني قصته his story حسب ما ذكره المسيري، وبالتالي تقرر دعاة التمركز حول الأنثى إلى تغييره ليصبح her story أي تاريخ الذكور مختلف تماما عن تاريخ الإناث!

أما اللغة فهي ذكورية بوجهة نظره ولا بد من تأنيثها بحيث يعاد كتابة كلمة نساء Women على النحو التالي Womeyn حتى لا تحتوي كلمة نساء بالإنجليزية على كلمة men أي رجال، ونفس الشيء ينطبق على الكلمات المستخدمة للإشارة إلى الذات الإلهية، فيقال على سبيل المثال: إن الخالق هو الذي/هي التي، وضع/ وضعت... بل ويشيرون إليه أحيانا بالـمؤنث وحسب، فهو سيد الكون كما يقولون.¹

هيمنة وسيطرة الذكر وتمركزه حول ذاته، ومحاولة الأنثى التحرر من هاته الهيئة صراع نابع من المرجعية المادية، التي تؤكد أن للإنسان مرجعية ذاته ومكتف بذاته.

وهذا ما يحاول الغرب تأكيده ففي أخلاقيات الغرب كل شيء عندهم هو اتجاه طلب القوة وإرادة التأثير في البعيد، وقد أهملوا العوامل الأخلاقية ولم يلقوا لها بالا، في حين أن القيم الأخلاقية لا بد أن تسود، حتى تكون قواعد إلزامية يراها الجميع.²

¹ المصدر نفسه، ص 26.

² كريس سميث ريتشارد: انتحار الغرب ، تقر: محمد محمود التوبة، هيئة أبو ظبي للثقافة والنشر، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2009. ص 45.

أكد المسيحي على أن هذه الرؤية تصل قممتها أو هويتها حينما تقرر الأنثى أن تدبر ظهرها للآخر (الذكر) تماماً، فهي مرجعية ذاتها، ولا تشير إلا لذاتها فهي سوبرمان **supermen** ولذا تعلن استقلالها الكامل عنه، وحينها يصبح السحاق التعبير النهائي عن الواحدية الصلبة وتصل إلى حالة من الواحدية الأنثوية الصلبة والتمركز اللإنساني حول الذات الأنثوية، وإلى نهاية التاريخ المتمركز حول الأنثى وتسود الواحدية السائلة التي لا تعرف بين الرجل والمرأة أو بين الإنسان والأشياء.¹

والأمر الطريف على حد قول المسيحي أن هاته الحركات تنادي بشيء ثم تنتهي بنقيضه، فرعاء الحركة ينادون بإلغاء عقد الزواج التقليدي لتحقيق أكبر قسط من الحرية، وفي الوقت ذاته يدافعون عما يسمى بعقد الزواج الشامل الذي فيه رؤية كاملة للطبيعة البشرية تغطي لا البداية والنهاية وحسب بل جميع جوانب الحياة الزوجية من غسيل الصحون إلى الاعتناء بالأطفال من وجهة نظرهم.²

حركة التمركز حول الأنثى أو حركة تحرير المرأة حصرت الزواج في عقد شامل يحوي شروطا يجب الالتزام بها، ولم تولي اهتماما إلى البعد الإنساني، فالزواج ليس علاقة مشتركة بين الجنسين يحضر مهامها بما يتوافق والفطرة الإنسانية التي أودعها الله فيهما، بل مجرد علاقة تحكمها أطر وشروط مادية تنتهي بانتهاء تخلي أحدهما عن شرط واحد.

¹ المسيحي: التمركز حول الأنثى، موقع islamonline، سبق ذكره.

² المسيحي: الفردوس الأرضي، دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكية الحديثة، المؤسسة العربية للدراسات، ط1، بيروت، أبريل 1979، ص153.

خلاصة الفصل :

خلص المسيحي من خلال بحثه في عمق الفلسفات المادية أنها لا تصلح للإنسانية بما تحمله من مضامين ومفاهيم متنافية مع قيم ومبادئ التي من المفروض أن يتحلى بها الإنسان السوي، وقد أورد ذلك في سر جاذبيتها وانتشارها خاصة في الحضارة الغربية التي تفتقد للقيم المعنوية و الروحية فقد طغت عليها الماديات و شكلت هاجسا للإنسان الغربي و لم يستطع التخلص منها ، وقد بدا ذلك واضحا و جليا في حياته اليومية التي يعيشها وسيطرت على عقله سيطرة تامة من جميع الجوانب والنواحي، فقد دعا إلى الموازنة بين ما هو روحي وما هو مادي قدر الإمكان.



الفصل الثالث

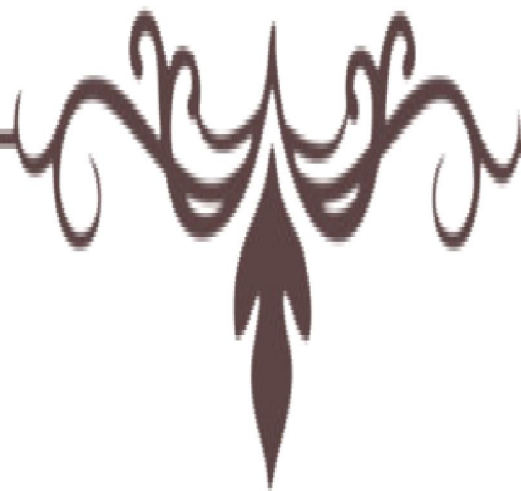
نقد الأسس المعرفية للحضارة الغربية

المبحث الأول : النموذج المعرفي الغربي في نظر المسيحي

المبحث الثاني: الحلولية الكمونية في المنظومة الغربية

المبحث الثالث: التحيز و المصطلح

المبحث الرابع: رؤية نقدية تقييمية



تمهيد:

اهتم عبد الوهاب المسيري في كافة أعماله بدراسة ونقد الفكر الغربي والحضارة الغربية في كافة المجالات وعلى جميع المستويات بشكل عام من أجل الوصول إلى الطريق الأمثل والصحيح للنهوض بالأمة العربية والإسلامية وإخراجها من مستنقع الانحطاط والتخلف الذي شهدته طيلة هذه العقود وغرقت فيه بسبب غياب روح الإبداع والتميز التي كانت تميز المسلم عن غيره، فتوقف عند دراسة النموذج المعرفي الغربي الذي أحكم قبضة العالم فأسره في الوقت الراهن، وعمل جاهداً على إنقاذ التميّزات المعرفية الغربية ولم يفوت فرصة تحليل وتفكيك كل المفاهيم والمصطلحات التي نستوردها من الغرب دون تمحيص وتأخذ بها كما هي فكانت شغله الشاغل بهدف توضيحها للأمة الإسلامية والعربية لكي ينصرفوا عنها والتركيز على قضية الساعة التي تشغل العالم بأسره وليت الأمة الإسلامية فقط ، ألا وهي القضية الفلسطينية والاستيطان الصهيوني الذي أزال الستار عنه وحاول كشف مضامينه الخفية وفكك مصطلحاته ومفاهيمه التي تشكل حاجزا يهرب العقل العربي والإسلامي ، فقد حاول قدر استطاعته وفي حدود معرفته أن يبيها بكل ماله صلة أو علاقة بالكيان الصهيوني وبالملف الفلسطيني ، عمل جاهداً على صياغة نموذج معرفي بديل ينطلق من تراثها ويستفيد من كل العلوم والتجارب الإنسانية بدون استثناء مع الحفاظ على الخصوصية الثقافية والحضارية ، بهدف توليد معارف وعلوم جديدة تحقق بها إمكانياتها الإبداعية .

ومن هنا نطرح التساؤل التالي:

فيما يكمن النموذج المعرفي الغربي بكافة تميزاته وارتباطه بالصهيونية؟ وما هو النموذج البديل ؟

1.3. المبحث الأول: النموذج المعرفي الغربي في منظور المسيري

انشغل المسيري بالبحث في النماذج وأسسها المعرفية ، وخاصة النموذج المعرفي الغربي، وعمل على نقدها في البناء المعرفي وفي تداعياته وتحيزاته وقدرته التفسيرية للظاهرة الإنسانية.

1.3. مفهوم النموذج المعرفي: يرد مصطلح نموذج في جل كتابات المسيري إما مفردا وإما

مركبا ، ويقدم بطريقتين مختلفتين ، فمرة يسوق أمثلة متنوعة ثم يصوغ التعريف ، ومرة يقدم التعريف أو بعض عناصره دون أن يعطي أمثلة¹.

- **النموذج:** هو بنية تصورية يفرد بها عقل الإنسان من كم هائل من العلاقات والتفاصيل والحقائق والوقائع فهو يستعيد بعضها باعتبارها غير دالة ، ويستبقي البعض الآخر ، ثم يربط بينهما وينسقها تنسيقا خاصا بحيث تصبح مترابطة ، ومماثلة في ترابطها للعلاقات الموجودة بين عناصر الواقع .

وهذا يعني أن عقل الإنسان ليس حاملا ، يتلقى الواقع بشكل سلبي ويسجله بشكل مباشر ، وإنما هو مبدع وخلاق يعيد صياغة الواقع من خلال النماذج المعرفية والإدراكية أثناء أبسط عمليات الإدراك ، أي أن استخدام النماذج مسألة حتمية تدخل في صميم عملية الإدراك، ومن ثم فعملية الإدراك هي نفسها عملية تفسير، وبالرغم من أن النموذج بنية تصورية فإن من الممكن اختباره لاكتشاف قدرته التفسيرية و التصنيفية².

فالنموذج لا يوجد جاهز في الواقع ولا يمكن أن ندرك وجوده، لأنه ظهر نتيجة عملية تجريد عقلية

¹ أحمد مرزاق "النموذج المعرفي ونموذج المسيري الحضاري" في كتاب المسيري في عيون أصدقائه ونقاده، دار الفكر ، ط1، دمشق 2007، ص 168.

² المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ، م2، مصدر سابق، ص444

كبيرة ومركبة ومتداخلة بين عناصر عديدة وليست عنصرا واحدا فقط.

المعرفي: يضع المسيري المعرفي مقابل السياسي و الاقتصادي حيث جاء في تمهيد أحد الدراسات نبدأ هذه الدراسة بتعريف مصطلح (المعرفي) في مقابل السياسي والاقتصادي والتاريخي..... إلخ، ويؤكد الارتباط بين المعرفي وأي خطاب تحليلي، يقول بعد إبرازه الأبعاد المعرفية، خلف إجابة عالم السياسة، ومن ثم فهناك بعدا معرفيا كليا نهائيا في أي خطاب تحليلي مهما بلغ من الحيادية والتجريدية والسطحية المباشرة¹.

حضور البعد المعرفي خلف النماذج عند المسيري يعني أن خلف كل نموذج معاييرها الداخلية التي تتكون من معتقدات وقروض ومسلمات وإجابات عن أسئلة كلية ونهائية تشكل جذوره الكامنة وأساسه العميق وتزوده ببعده النهائي وهذا يؤكد حقيقة ارتباط النموذج بالبعد المعرفي .

فكلمة المعرفي عند المسيري تعني الكلي والنهائي، ولهذا يسقط من مفردة المعرفي، التي توضع غالبا مقابل الإستمولوجي في الخطاب العربي مرجعيتها الأعجمية (النظرية المعرفية)، الفرنسية(فلسفة العلوم)، ويرجع بالكلمة إلى المعجم العربي².

وفي هذا السياق عرف المسيري النموذج المعرفي بقوله " هو النموذج الذي يحاول أن يصل إلى الصيغ الكلية و النهائية للوجود الإنساني وكلمة كلي في استخدامنا تفيد الشمول و العموم، بينما تعني نهاية الشيء غايته وأخره، وأقصى ما يمكن أن يبلغه الشيء " وتدور النماذج المعرفية حول ثلاثة عناصر أساسية: الإله - الطبيعة - الإنسان ونحن نركز على الإنسان (الموضوع الأساسي للعلوم الإنسانية) ومن خلال دراسته يمكن أن نحدد موقف النموذج من العنصرين الآخرين (الإله والطبيعة) وفي محاولة دراسة صورة الإنسان الكامنة في أي نموذج معرفي يستطيع الدارس أن يطرح مجموعة من الأسئلة تدور حول

¹ أحمد مرزاق "النموذج المعرفي ونموذج المسيري الحضاري" في كتاب المسيري في عيون أصدقائه ونقاده ، مرجع سابق ، ص 181.

² المرجع نفسه، ص 182

ثلاث محاور أساسية يجمعها كلها عنصر واحد هو التجاوز¹

فقد اهتم المسيري بالنموذج المعرفي الغربي لأسباب أهمها شيوع هذا النموذج ووصفه بأنه أكثر سطوة لأن الاستعمار الغربي قام بهزيمة العالم واقتسامه، وفرضه على الكثير من المجتمعات أما من خلال القمع أو الإغواء، أو عن طريق خاصية الانتشار، حتى أصبح كثيرون يظنون أن هذا النموذج عالمي، وهذا يعود للذات المغلوبة بتعبير ابن خلدون وإلى الذات الغالبة المتركة حول نفسها.²

فالمسيري يسقط رؤيته الكلية من خلال صياغة النماذج والتركيز على النموذج المعرفي الغربي وصياغة أحداثه وتفصيلاته التي قد تبدو مجرد تفاصيل عاجزة أو سطحية ليس لها معنى، ولكن بعدما أخضعها لنظرة متفحصة وثاقبة بدت جزء من منظومة يريد من يقف خلفها ويتبناها أن تسود .

2.3. سمات النموذج في تصور المسيري: من أهم العوامل التي ساهمت في ظهور هذا

النموذج حسب المسيري وهي:

ظهر العلم الغربي الذي انفصل عن القيمة وعن الإنسان نفسه ليتعامل مع الكم وحسب، فنشأت الطبقات البرجوازية داخل المدن التي كانت تظم مليشيات عسكرية مستقلة عن النظام الإقطاعي وبالتالي اكتسب حرية نسبية ازدادت بالتدريج على مر السنين .

- الإصلاح الديني (البروتستانتية): الذي أكد فكرة الخلاص خارج الكنيسة أو المجتمع فيه، وهي الفكرة التي ستصبح فيها جوهر العلمانية الجزئية بفصلها بين الدين والدولة بحيث تصبح الأمور المدنية ثم الأخلاقية أمورا خاصة بالضمير وحده .

- تعبير الثورة البرجوازية عن نفسها من خلال الفكر العقلي في (الاستنارة) في القرن الثامن عشر ثم الرومانية في القرن التاسع عشر مما أدى إلى تأكيد الفرد لكيان عقلي محض أو كيان عاطفي خالص.

¹المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ، م2، مصدر سابق ،ص 445

² أحمد مرزاق" النموذج المعرفي و النموذج المسيري الحضاري"في عيون أصدقائه و نقله،مرجع سبق ذكره،ص125

- تقويض دعائم المسيحية و تآكل الكنيسة و القيم الدينية ثم الأخلاقية، فحينما استولت البورجوازية على السلطة في القرن التاسع عشر، كان مفكروها يطرحون فكرا متحررا تماما من التراث و الأخلاقيات الدينية وقد تم التصنيع و التحديث داخل هذا الاطار في اوربا.
- الانسان الغربي كان يقوم بتصنيع لأول مرة في التاريخ، ولم يكن لديه خبرات إنسانية سابقة، ولذلك تعد التجربة و الاكتشاف دون الاهتداء بالتراث كان سمة أساسية، وأصبح التحديث و التصنيع على الطريقة الغربية يعني القضاء على الماضي و التخلص من مخلفاته و الحرب ضد الدين.¹

ونتيجة لهذا أصبحت الطبيعة والحيوان والإنسان ذاته، بل المجتمع والعلاقات الإنسانية والاجتماعية أشياء قابلة للقياس والاستعمال ويمكن ردها إلى أساس مادي، فالمسيحي يرى أن هذا الزمان يمكن قياسه بدقة و استخدامه بعناية فائقة، لأنه زمن النقود و زمن الماديات التي استحوذت على الانسان و سيطرت عليه سيطرة كاملة وفق الحيز المادي الذي بات موصولا به بشكل كلي ولا يمكنه أن ينفصل عنه.

3.3. خصائص النموذج المعرفي :

العنصرية والإمبريالية : يتسم هذا النموذج ،بعنصرية التفاوت اي وجود تفاوت ثقافي بين الأجناس ،وبأن هذا التمايز له أساس (بيولوجي ،بيئي ،وراثي) والإقرار بتفوق الرجل الأبيض، وسبغ القداسة على الإنسان الغربي وعلى تاريخه وحضارته، ونزع القداسة وتغييبها على الآخر الأوروبي وعن تاريخه وحضارته بل يعتبر إن حضارة الآخر وتاريخه هو نقطة انحراف عن النقطة التي يتجه نحوها التاريخ العالمي²، ولذلك يرى المسيحي أن الظاهرة الصهيونية ماهي إلا ظاهرة غريبة، عرقية، امبريالية، لأنها تنطلق من الافتراض المحوري في الفكر القومي اللغوي والشعري الغربي الذي يذهب إلى أن أعضاء الحضارة الغربية الغازية أكثر تفوقا من الناحيتين الحضارية والعرقية من أعضاء الحضارة الشرقية المغزوة، وأن تخلف هذه الحضارات امر

¹ المسيحي: دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مصدر سبق ذكره، ص23،22

² عامر عبد زيد الوائلي ،هاشم الميلاني ، مرجع سابق ، ص 285.

وراثي حتمي ،ومن ثم تكون الغزوة الإمبريالية مسألة منطقية وحتمية ¹.

فانتهاك ثروات الشعوب ،واستغلال اراضيها ونهب خيراتها ،وتبرير التفاوت الاجتماعي بين طبقات المجتمع يمثل أعلى سمات العنصرية ،والنظر إلى الآخر نظرة احتقار وازدراء ،وتقسيم الأجناس إلى ما هو أعلى وأدنى قمة العنصرية .

فقد اتضحت معالم الأزمة الغربية الحديثة مع منتصف القرن التاسع عشر ،خصوصا منذ منتصف الستينات حسب المسيري ،فهذه النقطة التي اكتملت فيها معظم ملامح النموذج الحضاري المعرفي الغربي وتحقيقه ولم تعد مجرد ايدولوجيا يتم التبشير بها أو مجموعة من الأفكار يتم الدعوة إليها وإنما أصبحت بناءً حضاريا ماديا متماسكا ظهرت نتائجه الايجابية المباشرة العاجلة كما تبدت نتائجه السلبية غير المباشرة الآجلة وغير المقصودة ،وتصاعد أزمات هذه الحضارة ابتداء من حريها العالميتين وانتهاء بمشاكل عديدة مثل : تآكل مؤسسة الأسرة انتشار الايدز والمخدرات وتراكم أسلحة الدمار الكوني ، والأزمة البيئية وتزايد اغتراب الانسان الغربي عن ذاته وعن بيئته ².

ولتوصل للقانون العام مشروع مستحيل من الناحيتين المعرفية والعلمية ،ضمن الناحية المعرفية يفترض هذا النموذج بساطة العقل وبساطة واقع الانسان (طبيعي والاجتماعي) وبساطة الدال اللغوي وبساطة المدلول الانساني وبساطة العلاقة بينهما وهو يفترض بيقين كامل متعصب أن رقعة المجهول ستتناقص بالتدريج وتزيد رقعة المعلوم ،وأن المجهول سيتم معرفته ،وأن تحكم الانسان في الواقع سيصبح كاملا وهو افتراض أقل ما يوصف بأنه طفولي وسخيف ،والملاحظ العابر للعالم سيدرك هذا تماما ³.

نماذجية الانحراف وثنم التقدم : عبر النموذج الإمبريالي الغربي في نماذج واضحة وصریحة عن انحرافه وبدا وجهه الحقيقي قبيحا يثير الاشمئزاز ،من خلال المهجمة الاستعمارية الشرسة على بلاد الشرق مغتصبا

¹ عبد الوهاب المسيري: الصهيونية والعنف ..من بداية الاستيطان الى انتفاضة الأقصى ،دار الشروق ،ط2، 2002، ص 61.

² المسيري: دراسات معرفية في الحداثة الغربية ، مصدر سابق ، ص 92.

³ هاشم الميلاني ،عامر عبد زيد الوائلي: مرجع سابق ، ص 287.

خيراتها ومشعلا ثوراتها أو من خلال الحريين العالميتين التي راح ضحيتها عشرات الملايين من البشر أو إبادة الأوربيين للهنود الحمر في أمريكا أو غيرها من تدمير في أفغانستان والعراق والسودان والصومال ناهيك عن هذا التعاطف الكريه مع إسرائيل وهي تغتصب أرضا وتشرد أهلها ، فلم يجد قط من أي نموذج حضاري يزعم لنفسه التحضر والرفي أن أباد الملايين بهذه المنهجية وهذا الرشد والحياد من قبل أو من بعد. والشيء نفسه ينطبق على الصهيونية ، فهي تعبير عن نفس الرؤية المادية الإمبريالية التي تحول العالم والبشر إلى مادة استعمالهم وتوظفهم لصالح صاحب القوة ¹.

فانحراف الحضارة الغربية وما صاحبها من مشاكل مختلفة وسلبات التي صاحبته ، هي مجرد انحراف عن نموذج انساني تتقدم تقدا يعلي من شأن الانسان !

وكذلك من أهم النقاط التي تعرض لها المسيري مسألة معيارية نجاح التقدم والمتعلق بحسابات التقدم والتخلف ، وهنا يطرح اصطلاحا جديدا وهو التقدم العلمي والتخلف الكوني ، فالأول المستفيد الوحيد منه هو الغرب في حين ان الثاني يعبر عن خسارة كونية للبشرية جمعاء وبدون استثناء ، فهو يعم جميع البقاع والأمصار والأوطان ويجسد التقدم العلمي الصناعي ذاته ومخلفاته من تلوث وثقوب اوزون واحتباس حراري ، وبالتالي فإن حسابات نجاح التقدم تكون وفق حساب معدل مخلفات التقدم الصناعي ، وما انجر عنه من تخلف كوني ، وبمعنى آخر حساب المكسب المادي النهائي مخصومة منه الخسارة الكونية ، والواقع أثبت أن الخسارة الكونية أكبر من الربح ².

يقول المسيري : "وقد قرع الصندوق العالمي لحماية الطبيعة في تقريره عام 2006 جرس الانذار فيما يتعلق بمستوى استهلاك البشرية للموارد الطبيعية الذي يتجاوز قدرة الطبيعة على التجديد ، وقد أشار التقرير إلى إن مستوى الاستهلاك الكرة الأرضية للموارد الطبيعية يفوق بنسبة ثلاثين بالمئة (30%) ما

¹هاشم الميلاني ، عامر عبد زيد الوائلي: المرجع السابق ، ص 288.

²محمد بكاي واخرون: تق البشر ربح ، العلمانية والسجلات الكبرى في الفكر العربي المعاصر ، مرجع سابق ، ص 202

تستطيع الطبيعة تجديده من موارد وهو ما يهدد مستقبل الاجيال القادمة.¹

فقد وصف القرن العشرين بقرن الخوف والازمات نتيجة الوقائع والاحداث المضطربة والحروب الدامية التي فرقت الانسان وجعلت منه شخصا مهمشا،² فقد ساهمت الحروب في تغيير مبادئ وقيم كانت سائدة قبل ذلك إضافة إلى خطر التطورات العلمية والتكنولوجية على الانسان ،خاصة في تقليص مساحة حرية الفرد .

¹المسيري، ثقافة ومنهج (حوارات المسيري) ، مصدر سابق ،ص 316

²سوزان عبد الله إدريس، مشكلة الإنسان في فكر البير كامو، الهيئة العامة السورية للكتاب ،دون ط، دمشق ،2017، ص 5.

2.3. المبحث الثاني : الحلولية الكمونية في المنظومة الغربية وعلاقتها بالصهيونية

1.3. الحلولية الكمونية المادية: يتم فيها الاستغناء تماما عن أية لغة روحية أو مثالية، ويسمى المبدأ لواحد "قوانين الطبيعة" أو "القوانين العلمية" أو "القوانين المادية" أو "قانون الحركة" وكذلك يسمها المسيحي حلولية بدون إله¹، فثمة سمات عامة للحضارة الغربية ساهمت في بلورة الرؤية الحلولية الكونية، المادية، بمساعدة عوامل اجتماعية وثقافية وتاريخية جعلتها تهيمن على المجتمعات الغربية أهمها :

- الحضارة الغربية في مراحل تكوينها الأولى لم تعرف التشكيلات الإمبراطورية الكبرى التي تضم عدة شعوب وديانات ولغات لان بدايات تشكلها كانت سلسلة من المدن/الدول في اليونان والتي تشكلت فيها أو مفردات الخطاب الحضاري الغربي .
- وهذا الوضع هو الذي يفسر بعض السمات المتصلة بالوثنية الغربية التي جعلت الآلهة كائنات مادية أو شبه كونية والتداخل الكامل للطبيعي والالهي بشكل متطرف .
- التفسيرات الوثنية البدائية ساذجة ذات طابع حلولي كموني، لكنها أفرزت فكرا فلسفيا ماديا يتسم بقدر عال من التبلور والعقل والتماسك في اعتقاد المسيحي واستدل على ذلك باسبينوزا حينما حل مشكلة التسمية بقوله "الإله وبالأحرى الطبيعة" وهو في واقع الامر نفس الشيء

- الرؤية الوثنية البدائية الحلولية الكونية في العصور الوسطى المسيحية لم تختفي قط، بل استمرت على شكل عقائد غنوصية وحركات هرطقة، ذات طابع حلولي كموني واحدي متطرف، كانت تتأرجح بين تأليه الكون وإنكار الإنسان، وتأليه الإنسان وإنكار الكون .
- العهد القديم الذي يحوي رؤية حلولية واحدية كمونية العضوية الواحدة، فالمسيحية تدور حول فكرة الإله المتجسد وحلول اللاهوت في الناسوت حين ينزل الإله إلى

¹المسيحي، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج 2، مصدر سابق، ص 468

الأرض في هيئة ابن الإله ويتم صلبه وبالتالي يفقد تجاوزه ومرجعيته ويصبح إنسانا عضويا ومع فساد حكم الكنيسة تسبب في الانصراف عن الدين والتوجه إلى الدنيا وهذا ما أسفر عن ظهور الفلسفة الإنسانية الهيومانية مما ساعد على تصاعد معدلات الحلولية الكونية الواحدية في الحضارة الغربية¹.

فالحلولية الكونية تبدت بدرجة أولى على المستوى الديني المعرفي ووجدت العالم الغربي الأرضية الخصبية للتوغل والانتشار داخلها ، ثم انتشرت إلى بقية العالم .

تنظر الرؤية الحلولية الكونية المادية للكون باعتباره مكونا من جوهر واحد، مكتفيا بذاته ،فهو يحتوي على مركزه وركيزته الأساسية داخله و لا يحتاج لشيء خارجه لفهمه أو تغييره ،ويمكن رد جميع الظواهر الموجودة فيه مهما بلغ تنوعها وعدم تجانسها الى المبدأ الواحد المطلق الكامن/الحال في العالم².

2.3. الحلولية الصلبة والحلولية السائلة :

الحلولية الصلبة : يتركز الحلول أو الكون في الإنسان "الواحدية الذاتية" تأليه الإنسان وإنكار الطبيعة "فيمكن أن يكون فرد بعينه "البطل الذي لا يقهر" الذي يصبح مركز الكون ،ويصبح الجنس البشري بأسره "الواحدية الإنسانية" كما يتركز الحلول والكمون في الطبيعة فيصبح موضع الحلول جبلا أو شجرا أو الطبيعة بأسرها الواحدية الموضوعية المادية تأليه الطبيعة وإنكار الإنسان.³ فيتضح من خلال الحلولية الصلبة إن الإنسان موضع الحلول والكمون وبالتحديد الإنسان الغربي مقابل بقية البشر .

الحلولية السائلة : يتسع الكون بأسره من خلال الحلولية السائلة وتصبح كل الأشياء موضع الحلول ومن ثم تتعدد المراكز ويصبح العالم لا مركز له ،إذ يتجلى المركز من خلال كل الكائنات فيذوب فيها ويختفي وتفقد كل الكائنات حدودها وحيزها ،إذ تختفي المساحات بينها ومن ثم هويتها وتعينها

¹المسيري: ثقافة ومنهج (حوارات المسيري) ، مصدر سابق ،ص 203.

²المسيري: الصهيونية النازية ونهاية التاريخ ، مصدر سابق ، ص 242.

³عبد الوهاب المسيري: اليهود واليهودية والصهيونية ،ج1، المصدر السابق ، ص211.

وقيمتها¹.

وهذا ما يؤكد عليه المسيري أن الحضارة الغربية الحديثة هي مجرد تعبير عن التراجع التدريجي والمستمر للفلسفة الإنسانية الهيومانية والتصاعد المستمر والمطرّد للحلولية الكمونية المادية التي تهمش الإنسان ومنظوماته المعرفية والأخلاقية².

يذهب المسيري في موضع آخر لإبراز علاقة الحلولية الصهيونية، وطرد وهم القوة اللصيق بها ومقدرتها على التحكم العالم بأسره وتفكيك مفاهيم عديدة حول اليهود وإسرائيل والصهيونية وإيضاح حقيقتها.

عرف المسيري الصهيونية بقوله : "حركة يهودية قومية هدفها إقامة دولة اليهود في الأراضي المقدسة كوطن للشعب اليهودي، عقد أول مؤتمر صهيوني في بازل سنة 1897 م بمبادرة من تيودور هرتزل وهو أبو الصهيونية السياسية"³، ولكن يؤكد على صعوبة تحديد مصطلح الصهيونية وقل ما يمكن انه يوصف به مصطلح مختلط الدلالة غير واضح ويحمل مضمون إيديولوجي فاقع.

لم يسك مصطلح الصهيونية إلا في القرن 19، ولكنه مع هذا يستخدم للإشارة إلى بعض النزاعات في التاريخ الغربي، بل داخل النسق الديني اليهودي قبل هذا التاريخ⁴.

فقد حاول المسيري تحديد الثوابت والمسلمات النهائية الكامنة في الاتجاهات الصهيونية كافة مهما اختلفت دوافعها وميولها ومقاصدها وطموحاتها وديباجاتها واعتذاراتها عبر صك مصطلح "الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة" التي ظهرت بالتدريج ولم تظهر دفعة واحدة "حسب رأيه" كان يضاف لكل مرحلة عنصر جديد إلى أن اكتملت مع صدور وعد بلفور وتحولت إلى الصيغة الصهيونية الشاملة⁵.

¹المصدر نفسه، ص 212.

²أحمد عبد الحليم عطية : مرجع سابق، ص 83.

³المسيري، فتحي التركي : مرجع سابق، ص 354.

⁴المسيري : اليهود واليهودية الصهيونية، م6، مصدر سابق، ص 13

⁵المصدر نفسه، ص 17

3.3. الحلولية الصهيونية :

حسب التصور الصهيوني اليهودي هو فرد في شعب مرتبط عضويا بأرض الوطن يشعر دائما برغبة عارمة وإحساسا غريزيا بضرورة العودة ،وترى أن على اليهودي أن يرفض عملية الانتظار السليبي للعودة التي فرضها عليه الحاخامات، بل يجب حمل السلاح بطريقة علمانية عصرية حديثة لتحقيق العودة الاستيطانية المسلحة ، فلا بد من العودة إلى فلسطين واغتصابها¹.

تفترض الإيديولوجية الصهيونية أن اليهود الذين يعيشون خارج وطنهم القومي المقدس يعانون من تحرق مستمر لأنهم لا جذور لهم في الحضارات المختلفة التي لا تعتبر عن جوهرهم المتميز²، وبالتالي أرادت الصهيونية تشكيل كيان يهودي مستقل لها في فلسطين والتي يعتقد الغالبية من اليهود أنها ملكية يهودية قديمة لإسرائيل³.

وهذا يبين الدور الذي تلعبه الصهيونية في استقطاب اليهود الذين يعيشون خارج الأرض المقدسة بالنسبة لها وتوهمهم بالحق المشرع لهم في إعادة أرضهم المقدسة التي سلبها منهم العرب حسب اعتقادهم ومن المفارقة المهمة التي أكد عليها المسيري أن الصهاينة الذين يمجدون الشخصية اليهودية يقومون في الوقت نفسه بالهجوم عليها ورفضها ، فهم يرون أن هذه الشخصية اليهودية مريضة وهامشية⁴.

فالمسيري في قوله : "والصهيونية في تصورنا ليست ظاهرة يهودية كما يدعي الصهاينة ، وإنما هي إفراز لتشكيل الاستعمار الغربي، شكل من أشكال الاستعمار الاستيطاني الاحلالي الذي يقوم باغتصاب الأرض من أصحابها ، وبطرد سكانها الأصليين منها وإبادتهم أن أمكنها ذلك " ⁵.

إذ يعتبر المسيري الصهيونية شكلا من أشكال الحلولية ، إذ يصبح اليهودي مرجعية ذاته، وشكل

¹ عمرو شريف: ثمار رحلة عبد الوهاب المسيري الفكرية ،مرجع سابق ، ص 309.

² المسيري: الإيديولوجية الصهيونية دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة ،عالم المعرفة ،الكويت ،1982، ص 210

³ مصطفى عاشور: نحن و الصهيونية ،مكتبة وهبة،ط1، القاهرة ،2002، ص 18.

⁴ المسيري: من هو اليهودي ! دار الشروق ،ط3، القاهرة ،2002، ص 13

⁵ المسيري: من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية ،مطبوعات درة ،ط1، القاهرة ،2002، ص 4.

من أشكال العلمانية الشاملة ، إذ تنزع القداسة عن كل الأشياء وعن كل اليهود والعرب وعن أرض فلسطين فيصبح الجميع مادة انتقالية ، وهي في نهاية الأمر تعبير عن التشكيل الامبريالي ولكنها تعبير خاص للغاية ، إذ أن الدولة الصهيونية على حد تعبير المسيري جزء لا يتجزأ من الامبريالية ، وإنما هي دولة وظيفية أسست لخدمة مصالح ، ولذا فالعلاقة بينها وبين الغرب علاقة نفعية تعاقدية ، ومن هذا المنظور تجد الغرب يؤديها بكل قوة في الوقت الحالي ¹ . وهذا ما يبرز تبجح الكيان الصهيوني وهيمنته المطلقة على دول العالم ، والدعم الغربي خاصة الأمريكي هو الذي يقيه قائماً في ظل الغياب العربي التام عن الساحة الدولية .

إن الفكر الصهيوني يدور في رؤيته لليهود وللآخر معا في إطار رؤية تعاقدية وظيفية نفعية ضيقة فالعالم بأسره سوق الوطن القومي فيه سلعة تباع وتشترى ² ، فقد حاول الصهاينة تسريع الاستعمار الصهيوني بالرجوع إلى فكرة التفوق الحضاري الغربي ومن هذا التصور رأى هرتزل المشروع الصهيوني من منظور غربي وأكد على أن اليهود عندما يعودون إلى وطنهم التاريخي سيمثلون الحضارة الغربية الراسخة إلى هذا الركن البالي من الشرق ويعتبروا الصهاينة أنفسهم من الجنس الأبيض .

تعد الدولة الصهيونية ذات نزعة حلولية واضحة ، فإسرائيل تعتبر نفسها موضعاً لحلول الإله في الأرض والشعب المقدسين ومن ثم صارت واحة للديمقراطية ونورا للأمم ! لذلك يعتبرون أنفسهم على علاقة أزلية بأرض فلسطين ، أما الفلسطينيون فعلاقتهم بها هامشية ³ .

كما أن الخطاب الصهيوني يتسم بأنه خطاب حلولي عضوي يستبدل بإله الأمة (الأرض والشعب) ويخلع عليها كل صفات الإله ، ويعتبر الصهيونية تطبيق امبريالي للعلمانية الشاملة ⁴ . وما يعين

¹ عمرو شريف: ثمار رحلة المسيري الفكرية، مرجع سابق ، ص 334

² عصام بهي: رسالة سرية للعودة إلى الذات ،ضمن عالم عبد الوهاب المسيري (حوار نقدي حضاري) ،م2، دار شروق ، ط1، القاهرة، 2004، ص 331.

³ عمرو شريف: ثمار رحلة المسيري الفكرية، مرجع سابق ، ص 297.

⁴ المرجع نفسه:ص310,312

الدولة الصهيونية على مواصلة مخططاتها التوسعية على حساب العرب و المسلمين هو غياب الاهتمام بالخطر الصهيوني المهدق نتيجة بروز حقيقة أن التورات أو العهد القديم هو جزء من الكتاب المقدس عند المسيحيين وأن ما يحمله من نبوءات زائفة بحق اليهود المزعوم في فلسطين قد دخل في العقيدة المسيحية نفسها ،وأصبح يؤثر على مواقف القادة والساسة إزاء القضية الفلسطينية ،ولقد انتقل هذا الموقف أسوء استغلال وخصوصا حين تراجعت الكنيسة تحت الضغط وقدمت لليهود تنازلات جوهرية على حساب العقيدة المسيحية نفسها، وهذا تطور خطير في العلاقات المسيحية –اليهودية¹، لذا ينبغي إدراكه جيدا لمشروع الخطر الصهيوني والتقليل منه .

يقر المسيري أن السبب الأساسي الذي أدى إلى نجاح الصهيونية في تحقيق أهدافها هو تصاعد معدلات الحلولية داخل اليهودية ،ففي إطار الحلولية اليهودية يتحول الإنسان إلى الشعب اليهودي وتتحول الطبيعة إلى الأرض اليهودية (ارتس إسرائيل – ارض الميعاد) ،أما الإله فيتحول إلى المبدأ الواحد الذي يحل فيهما معا²، فمع تقاعد معدلات الحلولية التي توصل إلى وحدة الوجود المادية ،يتم دمج الإله مع الطبيعة ويصبح الكون جوهرًا واحدًا ،أي يفقد ألوهيته وقداسته الفارقة لهذا العالم ،فيصبح الإله هو الطبيعة والطبيعة هي الإله .

وقد لعب القباله دورا حاسما في تحويل اليهودية من نسق توحيدي إلى نسق حلولي كموني متطرف يساوي بين الإله والطبيعة ،فالقبالية هي التراث الصوفي الحلولي الذي يوحد بين الخالق والمخلوق فتختفي المسافة بينهما ويلتزمان ويشكلان جوهرًا واحدًا ،بحيث لا يكون لواحد أي وجود دون الآخر³ .

لا تختلف الرؤية الحلولية الكمونية عن الصهيونية وفكرة الشعب العضوي إلا في الطريقة التي تسمى بها العناصر التي تكون دائرة الحلول فيتوحد بهما ويوحد بينهما ،فالمبدأ الواحد في التراث الديني

¹اسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي ،مكتبة وهبة، ط2، القاهرة ،1988، ص4.

²المسيري: الصهيونية الحضارة الغربية ،مصدر سابق ، ص 205.

³المصدر نفسه، ص 131.

اليهودي هو الإله ،إما بين الصهاينة اللاديني فهو العرق اليهودي أو روح الشعب ، وقد نجم عن الحلول الإله في كل من الشعب والأرض أن أصبح الشعب مقدسا والأرض مقدسة ،ولكن كلا الفريقان العلماني والديني يختلفان في تسمية مصدر القداسة ولكن يتفقان على إن القداسة تسري في كل من الشعب والأرض ،فالجميع متفق على إن المبدأ الواحد (الإله أو روح الشعب) حال في المادة كامن فيها غير فارق لها ، وبالتالي يستطيع أعضاء الفريقين الصهيونيين الدين والإلحادي أن تفترض وجود علاقة عضوية صارمة بين العناصر الثلاثة تمنح أعضاء هذا الشعب حقوقا مطلقة وتستعيد الآخرين¹.

ولتوضيح الحلولية أكثر صك المسيري مصطلح الحلولية العضوية لوصف اتجاهات الفكر الصهيوني فرغم الديباجات الدينية التي استخدمها دعاة هذا التيار إلا إن المسيري حاول وضعها في إطار الحلولية اليهودية حيث تختفي الحدود بين الإله والإنسان والأرض ويحل الإله في الشعب والأرض ويتوحد بهما إلى أن يصبح الإله هو الشعب والشعب هو الإله ، إذ يعتبر دعاة الديباجات الدينية بطريقة متبلورة عن هذه الحلولية فهم أكثر تمرسا فيها من الصهاينة العلمانيين² ، فالصهاينة يرون أن إسرائيل هي الوسيلة الكبرى لعملية الإصلاح الكوني، فمن خلال هذه الدولة يعلن المطلق عن نفسه ويستعاد الحضور الإلهي داخل التاريخ، فبقاء الشعب والدولة هو بقاء الإله ، واستمرار الشعب والدولة هو استمرار الإله ، لذلك من يقف ضد الدولة ولا يقبلها فهو كمن ينكر وجود الإله،ومن يقبلها بلا شرط فهو وحده المؤمن بحسب تصور زعماء الصهاينة³.

يعترف المسيري بوجود علاقة قوية بين الحلولية الكمونية اليهودية والصهيونية ،ولولا مساندة وتأيد الامبريالية للكيان الصهيوني لما ظهر ولكن يتوقع أن المد الصهيونية الصهيوني الحلوي سينحصر تحت تأثير الضغط العربي وظهور الفلسطينيين مرة أخرى على مسرح الأحداث،وتزايد أزمة الصهيونية ،وقد وضع كثير

¹المسيري ،الصهيونية الحضارة الغربية ، مصدر سابق ، ص 206

²المسيري ، اليهود واليهودية الصهيونية ،ج7، مصدر سابق ، ص 320.

³المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ، مصدر سابق ، ص 349.

من أعداء الصهيونية من اليهود وغير اليهود أيديهم على هذه الخاصية في الصهيونية ، باعتبارها حلولية واحدة روحية أي شكلا من أشكال الوثنية ثم تحويلها إلى حلولية مادية ، وأشار بعض الحاخامات إلى دولة إسرائيل باعتبارها العجل الذهبي الجديد الذي يعيده اليهود¹ . وهذا يوحي بأن الصهيونية اديولوجية حلولية وثنية ، كما وصفها الحاخامات بأنها عقيدة شيطانية ويصفون الدولة الصهيونية بالعجل الذهبي الذي يعتبر اليهودي بديل عن الخالق بعد ما حل الإله في الشعب اليهودي وأصبح جوهرًا واحدًا مقدسًا ، فهي ترى أن الإله موجود في كل شيء وهذا التصور كامن في الماشيحانية نسبة للمسيح أو المسيح المخلص اليهودي .

¹المسيحي، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ، مصدر سابق ، ص 429.

3.3. المبحث الثالث: التحيز و المصطلح

أثناء دراسة الظواهر الإنسانية أدرك المسيري أن التحيز مسألة حتمية وأنه من صميم المعطى الإنساني ومرتبطة بالإنسانية الإنسان وما ساعده أكثر على إدراك التحيز أكثر هو إدراكه بأنه لا توجد لغة إنسانية واحدة تحتوي على كل المفردات الممكنة للتعبير عن الواقع بكل مكوناته أي لا بد من الاختيار¹.

1.3. مفهوم التحيز: كما جاء في المعاجم اللغوية هو الانضمام والموافقة في الرأي : وهو مصدر لفعل "تحيز"، وقد ذكر اللسان أن التحيز جاءت على زنة تفعيل وان التحيز ميزانها التفعيل من "حاز"، وذكر اللسان أن التحيز والعود للمكان والتحيز والانحياز بمعنى واحد ومن بين معاجم القرن العشرين انفراد وسيط المجمع اللغوي بالقاهرة، بتصنيف كلمة "تحيز" وأضاف أن عدم الانحياز في الاصطلاح الحديث يعني عدم الانضمام إلى فريق من الدول دون فريق². ويذهب المسيري في تعريفه للتحيز أنه يوجد في كل مكان وأن كل شيء له بعده الثقافي يغبر عن خصوصية كما تعبر عن نموذج معرفي خاص بالبيئة أو الحضارة التي ينتمي إليها يقول المسيري " لكل نموذج بعده المعرفي ، أي أن خلق كل نموذج معايير الداخلية التي تتكون من معتقدات وفروض ومسلمات وإجابات عن أسئلة كلية ونهائية تشكل جذوره الكامنة وأساسه، وتزوده ببعده النهائي، وهي جوهر النموذج والقيمة الحاكمة التي تحدد النموذج وضوابط السلوك، وحلال النموذج وحرامه، وما هو مطلق وما هو نسبي من منظوره"³. فقد اعتبر المسيري التحيز حالة إنسانية تظهر أو تبين كيفية تفاعل العقل الإنساني مع الواقع وما يحيط به، فيبدع ويولد أفكارا جديدة، ويؤكد إبداعات الإنسان العربي ولا يقلل من شأنها، ولا يحمل النموذج الغربي مسؤولية كل ما يحدث لنا من مشاكل ومصائب كانت السبب في تخلف العرب والمسلمين، وبالتالي تتعامل مع هذا

¹المسيري ، ثقافة ومنهج (حوارات المسيري) ، مصدر سابق ،ص 205.

²عبد الوهاب المسيري ، العالم من منظور غربي ،دار الهلال ، د ط، الكويت ،2001، ص 23.

³المصدر نفسه، ص 21.

النموذج دون قلق، فلا نأخذ كل شيء ولا نرفضه كله، وبالتالي ندرس إيجابياته وسلبياته معا.

2.3. سمات التحيز:

- حتمية التحيز وإدراك تركيبة الظواهر الإنسانية : التحيز هو حتمية التفرد والاختيار الإنساني لأنه مرتبط بالإنسان والثقافة المختلفة عما هو موجود عندهم وهذا لا يوحي بوجود عيب أو نقص وإنما مجرد كل تحيز من معانيه السلبية وبالتالي توضح إشكالية التحيز على مستوى مختلف تماما¹.
- حتمية التحيز وإدراك الخصوصية: يعني أن الإنسان قادر على الاختيار ومن ثم فكل ظاهرة إنسانية تحوي تحيزات إنسانية ومن ثم فهي لها خصوصيتها، بل وأحيانا ملامحها الفريدة .
- التحيز والتواضع العلمي: يعني طرح رؤانا بقليل من التواضع والانفتاح، والإصغاء لما يقوله الآخر مع الإدراك بأنه متأثر بتحيزاته، وهذا ما سيجعلنا ندرك أن العملية المعرفية عملية حوارية اجتهدية
- التحيز يمكن اكتشافه وتجاوزه: يعني أن الإنسان لا يدرك واقعه بطريقة عشوائية وإنما يتبع أنماطا متكررة من ثمره الخرائط أو النماذج المعرفية التي توجهه، وهي أنماط يمكن اكتشاف كثير من جوانبها .
- التحيز والتفسيرية: يرى أن التحيز لا يؤدي إلى السقوط في خيلاء الموضوعية ولا في هوة الذاتية، إذ إن إدراك الباحث للتحيز وإدراكه لإمكانية اكتشافه سيجعله يبحث عن مناهج جديدة لتناول الواقع، وقد اقترح المسييري بدلا من الموضوعية والذاتية، يمكن اللجوء للتفسيرية، في

¹المرجع نفسه، ص 20.

نظرة هي الحل ، فيمكن القول هذا أكثر تفسيرية أو تفسيرية اقل تفسيرية¹.

فإدراك الإنسان لجمعية التحيز وتجريده من كل السلبيات واكتشاف معانيه الايجابية يجعل امكانية التواصل الإنساني أكثر سهولة ، ويجعله يبحث في مضمون النموذج المعرفي ، ولا يتلقى كل شيء جاهزا دون تمحيص وببساطة كالآلة العمياء ، وهذا يقيه من الوقوع في الفلسفات المادية ، ولا يرضى بتاتا بوحدة الطبيعة وما تدعو إليه .

3.3. أنواع التحيز:

- **تحيز كلي :** هو تحيز الباحث لكل جوانب النموذج المعرفي الذي يتبناه بكل تشابهاته وتضميناته
- **تحيز جزئي :** يعني التحيز لعنصر واحد كما يحدث حينما يعجب كاتب غربي بكاتب أو طراز شرقي فلا يتبنى الرؤية الكلية للحضارة هذا الكاتب أو ذلك الطراز وإنما يتبنى تلك العناصر التي تروق له والتي يمكنه استيعابها في رؤيته للكون .
- **تحيز داخل تحيز :** حينما يتبنى الباحث رؤية بقضها وقضيضها ولكنه يركز على جوانب منها دون الأخرى ، أو يتبنى جانبا واحدا من هذه الرؤية مهملا الجوانب الأخرى ، وضرب المسيحي مثلا عن ذلك ما يحدث في العالم العربي حين نركز على نظريات علم الاجتماع الغربي أو الانجليزي دون نظريات علم الاجتماع الألماني ، مع أن كل هذه النظريات تنتمي التقاليد علم الاجتماع الغربي .
- **تحيز الباحث لعدد من الأفكار :** التي تنتمي إلى انساق معرفية مختلفة متناقضة ولكنه يتبناها كلها دون تمييز أو تفريق بسبب غياب الرؤية المعرفية العميقة ومثالا عن ذلك حينما يعجب كاتب غربي بالرؤية الدينية الإسلامية والكونفوشيوسية معا باعتبارها رؤية شرقية دون أن

¹ عبد الوهاب المسيحي ، العالم من منظور غربي ، مصدر سابق ، ص 57-58.

يرى الاختلافات الجوهرية بينها .

- **تحيز واع واضح ، وآخر غير واع كامن:** التحيز الواعي هو تحيز من يختار عقيدة بعينها (إيديولوجية) ثم ينظر للعالم من خلالها ، ويقوم بعمليات دعاية وتعبئة في إطارها ، أما التحيز غير الواعي فهو أن يستبطن الإنسان منظومة معرفية بكل أولوياتها وأطروحاتها ، وينظر للعالم من خلالها دون أن يكون واعيا بذلك ، ومن بين الأمثلة التي ذكرها المسيري الكارتون توم وجيري قد نضحك من ألعيب القط والفأر ، ونترك الأطفال يشاهدونه ويضحكون فالفأر الماكر يقوم بكل الحيل لهزيمة القط الغبي ثقيل الظل ، وهنا تمر قيم نسبية نفسية وظيفية براجماتية ، لا تفرق بين الخير والشر والصراع بينها لا ينتهي ببداية الفيلم ولا ينتهي بنهايته ، فالعالم حسب رؤية هذا الكرتون كامنة.

- **تحيز حادا واضحا:** مثل ما يدعي الصهاينة أن فلسطين هي أرض بلا شعب وبدون مقدمات ، وهي عبارة ابادية تنكر حتى الآخر في الوجود ومع هذا يدعون أنهم يحبون السلام وسيقيمون وطنهم دون اللجوء إلى العنف¹.

فالمسيري يشير إلى خطورة التحيزات غير الواعية وتداعياتها علينا ، فقد استوعبنا كثيرا من التحيزات الغربية دون وعي ولم نفكر حتى في تفكيكها وفهم مضمونها ومعرفة مبتغاها ، فقد بدا تحيزنا واضحا كما هو مادي ومحسوس أكثر مما هو معنوي وإنساني.

فالتحيز يعني أن أي مفهوم فلسفي ليس بريئا ولا موضوعيا مجردا مهما تظاهر بذلك ، ذلك أنه يحمل بالضرورة منظورا بعينه بمعنى أنه جزء من منظومة مفهومية كلية تصدر عن رؤية للعالم بعينها أو تسعى لتأسيسها².

¹ عبد الوهاب المسيري: العالم من منظور غربي، مصدر سابق ، ص 61-71

² هلال محمد جبار: العلاقة بين الدال والمطلوب ووحشية النموذج ، المعرفي الغربي ، ضمن كتاب عبد الوهاب المسيري ، في عيون أصدقائه ونقاده ، دار الفكر ، ط1 ، دمشق ، 2007 ، ص 641.

4.3. التحيز في المصطلح : يؤكد المسيري أن قضية المصطلح مرتبطة أشد الارتباط بقضية

التحيز، وقد أشار إلى تركيبة الواقع الإنساني وفعالية العقل الإنساني وعلاقة اللغة بالإدراك، مما يؤدي إلى التحيز، فالعقل لا يتلقى الواقع بشكل سلمي وإنما يبقى ويستبعد ويهمش ويؤكد حسب خريطته الإدراكية ونفس الوضع ينطبق على محاولة الإنسان أن يسمى ظاهرة ما إذ أنه لا بد من الاختيار بين عدد لا بأس به من الدوال للإخبار عن مدلول مركب، وفي الوقت نفسه تتشابك مع عدد لا بأس به من المدلولات الأخرى، أي لا يوجد تلاقي آلي بين الدال والمدلول وبين المصطلح والظاهرة، وإنما هناك حتمية الاجتهاد الإنساني في محاولة مزاجية المصطلح بالظاهرة والدال والمدلول وهي عملية تتضمن قدرا من التحيز لمصطلح على حساب الآخر، وبجانب من المصطلح على حساب جانب آخر¹.

وكلمة مصطلح ذاتها تبين أن التحيز مكون أساسي فيها، وهي من فعل اصطلاح والاصطلاح يعني اتفاق طائفة ما على شيء مخصوص وهو يفيد الاتفاق بين جماعة ما على مدلول كلمة ولذا يقال اصطلاحوا على الأمر فالمصطلح تصالح².

ودرجة التحيز أعلى بكثير في العلوم الإنسانية لأن معظم المصطلحات التي تستخدمها نستردها من الغرب، وننقلها كما هي دون تمحيص، ودون إدراك للمفاهيم المتحيز الكامنة، أما العلوم الطبيعية فنقل المصطلحات فيها أكثر سهولة من العلوم الإنسانية ومع هذا فهي محفوفة بالمخاطر³

فالمسيري يدعو لعدم نقل كل المصطلحات كما هي دون معرفة مبتهاها أو تحليل مضمونها خاصة في المسيري خاصة العلوم الإنسانية، إذ ينبغي التعامل معها بكفاءة حتى لا يفقد لقدرة على تسمية الأشياء وتختلط عليها المدلولات نتيجة النقل الأعمى دون أعمال فكر أو اجتهاد ونفس الشيء ينطبق على العلوم الاجتماعية، فكل المصطلحات التي نستوردها تم سكها في العالم الغربي حسب المسيري.

¹المسيري ، العالم من منظور غربي ، مصدر سابق ، ص 167

²المسيري ،ثقافة ومنهج (حوارات المسيري) ، مصدر سابق ، ص 336.

³المصدر نفسه ، ص 337

وقد ضرب مثلاً بالشعب اليهودي أو مصطلح اليهود، فهو يوحى تحيزاً صهيونياً، فجوهر الصهيونية هو أن اليهود شعب يتسم بقدر معقول من الوحدة، وقد تقبلنا هذا المصطلح بما يخفى من مفهوم الوحدة اليهودية، كما أشار المسيري إلى مصطلح آخر شائع في الخطاب العربي وهو مصطلح الصهيونية العالمية "وهي ترجمة حرفية للمصطلح الانجليزي **World Zionism** الذي نقل إلى لغتنا بدقة بيغائية، فحسب المسيري لم ندرك إن وراء هذا المصطلح مفهوماً نابع من رؤية إيديولوجية شاملة تعبر عن آمال وطموحات أصحابها¹، وهذا يدل على أن ترجمة المصطلح دون توضيح تحيزات المفهوم الكامنة وراءه ودون أخذ نتائجه غير المقصودة في الاعتبار يؤدي إلى عملية تضليل ونقل أمين للتحيزات دون تحفظ² إذ يوضح المسيري أهمية التحيز في المصطلحات التي يتم نقلها دون إعارة اهتمام للمضامين الكامنة وما يسعى إليه المصطلح وعدم المبالاة بما يحدثه داخل الحضارات التي يتم النقل إليها، خاصة العالم العربي الإسلامي الذي أضحى يأخذ كل شيء في الحضارة الغربية ويؤمن به نتيجة انبهاره الشديد بالتطور والتقدم الذي تشهده الحضارة الغربية، ويكرره على حد وصفه بيغائية شديدة.

¹المصدر نفسه، ص 347

²المرجع نفسه، ص 181

4.3. المبحث الرابع : نقد نقد المسيري:

كما أشار المسيري في أكثر من موضع إلى عدم رضاه عن مصطلح أسلمة المعرفة الذي تبناه المعهد العالمي الإسلامي لأنه يحتوي على قدر كبير من السطحية، بالرغم من أن المعهد العالمي يستخدم الآن مصطلحا أخف وطأة وهو إسلامية المعرفة، إلا أن المسيري يظل يدعو إلى منهج بحثي أكثر تركيبة أطلق عليه توليد المعرفة الإسلامية من النموذج الإسلامي، لكن هذا النموذج يفقد كل خصوصية عندما ينتهي المسيري إلى القول بأن جوهر هذا المشروع هو أنسنة المعرفة، وأن خطابه الإسلامي لا يختلف كثيرا عن خطاب مدرسة فرانكفورت الألمانية الأمريكية، وأن الاختلاف الوحيد بينهما هو أن خطاب مدرسة فرانكفورت مأساوي، أما الخطاب الإسلامي فهو خطاب مفعم بالأمل، وهذا يبدو أمرا متغربا، لأنه لا يمكن إن يصدر عن مفكر كبير مثل المسيري¹، فالمسيري يعارض مصطلح أسلمة المعرفة وغير مقتنع بها رغم أنها تقدم البديل المنهجي والعربي الذي من شأنه أن ينقذ البشرية من المأزق الواقعة فيه، فهو ينظر إليه أنه سبب في وقوع الفكر العربي أو المثقف العربي في شبكة التحيز، ويفرق فيه فبدلا من معرفة ثقافة الآخر وأنساقه المعرفية والفكرية، ينكرها ويرى أنها لا تحتاج إلى تأجيل وبالتالي يقع في التحيز .

فأهمية إسلامية المعرفة تبرز باعتبارها منهجية المتشاقف الحضاري مع الغرب ومع مختلف النماذج المعرفية الأخرى كونها تقوم على الاستيعاب والنقد والتجاوز مع الحذر من الانصهار الثقافي في الغرب².

ولكن لا يمكن التفرقة بين المرجعية الإسلامية وبين الماركسية في خطاب المسيري فكل ما يفعله هو تحذير القارئ من الدولة العلمانية التي تنفصل عن القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية، وقد انتهى له الأمر في نهاية المطاف إلى القول بأن العلمانية الجزئية لا تتناقض بايت حال والمنظومة الدينية الإسلامية إذ يقول " وأنا باعتبار مدافعا عن الإنسان والإيمان لا أرى أي غضاضة في تقبل العلمانية الجزئية أي فصل الدين عن الحياة الاقتصاد بالمعنى المباشر والمحدد للكلمة، إذ إنني بكل صراحة لا أحب

¹حجاج أبو جبر: المرجع السابق ، ص 5

²علي صديقي: الأزمة الفكرية العالمية، نحو نموذج معرفي توحيدي بديل ، مرجع سابق، ص 23

أن أرى شيوخا أو قساوسة أو فلاسفة أو أساتذة أدب انجليزي يجلسون في لجان تناقش طرق تحسين التصدير وميزان المدفوعات أو نوع السلاح الذي يجب علينا تزويد جيشنا به فمثل هذه الأمور الفنية يجب أن تترك للفنيين"، ومن هنا تتضح علمانية المسييري بكل جلاء، وأنه ليس مفكرا إسلاميا كما يدعي الكثيرون، وقد وقع في تناقض معرفي كبير لأنه جزم بأن العلمانية حلقة متصلة بالعلمانية الجزئية الإنسانية وتنتهي بالعلمانية الشاملة الإنسانية، وبالتالي وقع في فخ النموذج المعرفي الغربي الذي ظل يحذرنا منه : عالم الخبراء والفنيين وعالم العلم والتكنولوجيا المنفصل عن القيمة¹.

وأثناء التأسيس لمنهجه اصطدم المسييري بفكرة الإسلام العلماني عندما أكد انه لا يوجد تعارض بين العلمانية الجزئية والرؤية الإسلامية وحاول درء التعارض بين العلمانية والإسلام، ولكن بعد أن ترسخ في ذهن القارئ العربي والمسلم خطورة العلمانية وجوانبها المظلمة، فمحاولة التوفيق جاءت متأخر جدا بعد تفكيك مصطلح العلمانية وتقويضه، رغم أنه قاده إلى النتيجة المرجوة وهي إبراز خطورة الفكر العلماني، إلا أنه فشل في التوفيق بين الإسلام والعلمانية، وللخروج من هذا المأزق اقترح مفهوم الدولة المدنية والحزب المدني².

فقد كان المسييري يقف على أرضية الخطاب النقدي الغربي للعلمانية ريثما ظن أنه بذلك يؤكد تفوق الرؤية الإسلامية وعلوها، ولكن هذا لم يتحقق بعد ما قيل بالعلمانية الجزئية بل رفض الخطاب الإسلامي البديل الذي يمكن أن يزيح المرجعيات العلمانية قائلا: "أفضل إلا نستخدم كلمة بديل الخطاب الإسلامي استوعب كثيرا من مقولات الخطاب القومي العلماني والخطاب الماركسي، فالإسلام شئنا أم أبينا هو جزء أساسي من مكونات الشخصية وتاريخها، وباعتقاد أننا يمكن أن نطلق على الخطاب الإسلامي صفة الخطاب القومي الإسلامي كما أن العدل هو القيمة القطب في الإسلام هو أيضا أهم

¹حجاج ابو جبر: المرجع السابق، ص 9

²المرجع نفسه، ص 11

أبعاد الماركسية¹، وهذا يدل على أن المسيري كان يؤمن بما حققته العلمانية في العالم الغربي وما أبدعته في كل الجوانب، لكن لم يظهر ذلك في كتاباته بل كان همه أن ييدي فقط الجانب المظلم فيها وتغافل عن الجانب المضيء فيها، وهذا ما يجعل القارئ العربي أو المسلم أن يقنع بالعلمانية الجزئية ويؤمن بها بعدما نفر منها ورغب عنها لأنها ستتحوّل دون شك إلى العلمانية الشاملة وهذا ما جعل القارئ لا يتقبلها .

يقدم المسيري مشروعاً إسلامياً، ولم يطمح إلى ذلك مطلقاً وإنما قدم نقداً ثقافياً ضخماً للحدثا الغربية²، ولكن هذا لم يمنع المسيري من محاولة البحث عن نموذج بديل للنموذج الغربي الذي أصبح غير ملائم لما تعانيه الأمة العربية من مشاكل حقيقية .

أهم منطلقات النموذج البديل :

انطلق المسيري من أساسيات في تحديد ما يقوم عليه النموذج البديل وصنفها إلى عناصر

كتالي:

- يقين ليس بكامل واجتهاد مستمر: رأى المسيري أن العلم يتسم بنماذج فضفاضة لا يطمح إلى أن يصل إلى قوانين صارمة أو إجابات موضوعية نهائية تفسر كل شيء، وإنما الوصول إلى الموضوعية و الحيادية الكاملة، أي استحالة الوصول إلى معرفة كاملة و نهائية و إنما نسبية فقط.
- لا اختزال ولا تصفية للثنائيات : النموذج البديل لا يسعى لتصفية الثنائيات مثل النموذج الغربي وإنما يرى أنها صدى الثنائيات الكبرى ، وبالتالي غير قابلة للتصفية أو الاختزال .
- رفض الواحدية السببية : لا يمكن للنموذج البديل أن يتقبل الواحدية أو السببية بل يرفضها، لأنه لا يمكن فهم الظواهر وفق إطار مادي واحد، بل حتى نظرتنا للطبيعة و الانسان لا تفسر أو تفهم وفق منظور أحادي مادي فقط وإنما مؤثرات عديدة.

¹المسيري ، الهوية الحركية الإسلامية ، ، مصدر سابق ، ص 51

²حجاج أبو جبر: المرجع السابق، ص11

- محاولة الوصول إلى نظرية شاملة: استحالة الوصول إلى اليقين الكامل أو التفسير النهائي في إطار النموذج البديل، وإنما محاولة الوصول إلى ما هو مغاير للنموذج المائي .
- نموذج توليد لا تراكمي: يعتبر المسيري نموذج التراكم المعرفي غير صالح للتعامل مع كل البشر، ولكن قد يصلح للتعامل مع بعض جوانب الأشياء لأنه يعتبر أن كل الظواهر تتقدم وفق نقطة واحدة أي منظور مائي، وهذا يخالف ما يؤمن به العقل و ما هو موجود في الواقع، بل إن النموذج البديل يقترح رؤية مغايرة تؤمن بالإنسانية المشتركة وطاقت وابداعات الانسان الكامنة.¹
- الانطلاق من مقولة الإنسان: يعتبر المسيري أن الانسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة، وليس كما يقول به النموذج المائي أنه جزء لا يتجزأ منها، فهو كائن مخالف للإنسان المائي الذي يتصوره هذا النموذج.
- نموذج غير مادي : يرى المسيري أن النموذج البديل مخالف تماما للنموذج المائي، فهو يؤمن بكل ما هو مائي و روعي وليس مادي فقط، ويؤمن بوجود إله خالق لهذا الكون ليس كمثله شيء، كما يؤمن بإنسان يستند إلى وجود إله مفارق للمادة.²
- كما يرى أن النموذج البديل لا بد أن يكون نابعا من تراثنا الذاتي ،ويقصد بهذا مجمل التاريخ الحضاري الذي يتسع للانجازات المادية والمعنوية للإنسان، ويستند في ذلك إلى القرآن والسنة ،والفقه الإسلامي يشكل محاولة الأسلاف لفهم قواعد هذا النموذج المعرفي في بعده الديني تماما كما أن كتابات المفكرين من مسلمين ومسيحيين ويهود في محاولة لفهمه في بعده الحضاري وللإبداع داخل إطاره وانطلاقا منه، كما لا يمانع الاستفادة من المناهج البحثية الغربية في عمليات التجديد والتحديث ،حيث يقول: "ولا بأس أن نستعير من حضارات الآخرين ،إذ كيف

¹ هاشم الميلاني، زيد الوائلي: نحن و الغرب، مرجع سبق ذكره، ص 297

² المرجع نفسه: ص 299

يمكن أن يتسع أفقنا وندرك ما أبدعته يد الإنسان في أماكن أخرى وفي أزمنة مغايرة¹. ومن ثم يكفل لنا هذا النموذج الحفاظ على الهوية واستقلال الخطاب الحضاري وهما شرطا الإبداع عند المسيري².

- فصل الحداثة عن الاستهلاكية ومفهوم التقدم المادي والفردية المطلقة : يرى المسيري أنه لا بد أن نتخلى عن مفهوم التقدم المادي الذي يجعل الهدف من الحياة هو الاستهلاك، والذي يجعل من أفق لذته وسعادته فرديته المطلقة، فهذا هو التوحيد الاستهلاكي هو الذي يدمر الإنسان والعالم ويجعل السلعة محور اهتمام الإنسان بدلا من أن تكون إنسانيتنا المشتركة هي محط اهتمامنا³.

فبعدها وضع المسيري نقده للنموذج العرقي الغربي، وبين أهم تحيزاته المتمثلة في الحداثة الغربية بكل ما تحمله من قيم مادية معادية للإنسان، اقترح نموذج بديل كرد على تداعي خصوصيتنا الحضارية، ومنطلقاتنا العقدية، وكذلك نظرنا للإنسان والكون.

لذلك دعا المسيري إلى تطوير منظومة تحديث إنسانية إسلامية، منظومة هدفها ليس التقدم المستمر وبلا نهاية وتصاعد معدلات الاستهلاك، وإنما التوازن مع الذات ومع الطبيعة وتحقيق العدالة الاجتماعية منظومة يطورها عقل مسلم متوازن مع ذاته ومع الطبيعة، حداثة تركز على الإنسان من حيث هو إنسان وليس من حيث أنه كائن اقتصادي أو جسماني أو طبيعي⁴.

فخطاب المسيري في نقد الحداثة، خطاب فكري معرفي وليس خطابا شعبويا سياسيا، فقد كان واعيا تماما بضرورة التخلص من التبعية للفكر الغربي التي قطع فيها عالمنا الإسلامي شوطا كبيرا، على نفس الدرجة التي كان مدركا فيها إن مسألة بناء حداثتنا المنشودة على الأرض على جميع المستويات تحتاج

¹المسيري: فكر حركة الاستتارة، مصدر سابق، ص 5

²هاشم الميلاني، عامر عبد زيد الوائلي: مرجع سابق، ص 300

³المرجع نفسه، ص 300

⁴المسيري: العلمانية والحداثة والعولمة، مصدر سابق، ص 202

إلى تركيز أكبر من قبل مجددي الفكر الإسلامي لأنها مازالت في بدايتها .

وليس ذنبا في نظر المسيحي أن نستفيد من الحركات المتشددة في نقدها للغرب فما يدعوا إليه واضح جدا يعتمد على مركزية الإنسان كانسان في هذا الكون، فهو ليس لديه مشكلة مع العلمانية الجزئية وإنما إشكاليته الرئيسية مع العلمانية الشاملة التي تسقط القيمة وتتمحور حول المادة .

لقد حاول المسيحي التأسيس لحداثة عربية إسلامية جديدة تستفيد من تجارب الآخرين ورؤاهم وأخطائهم أيضا لكنه لم يدع إلى لكرهية الغرب أو هجاءه¹.

شكلت شخصية المسيحي الأصيلة والتميزة استثناء بين المثقفين والمفكرين العرب، فقد حمل داخله قلبا مغمما بالأسى والحسرة الواضحة من كتاباته التي كانت ومازالت صرخة عالم آمن بالإنسان ومركزيته في هذا الكون، ويحمل ضميرا حيا يقظا يرفض الظلم ويأمل العدل ويطمح لغد أفضل للأمة العربية والإسلامية، فجعل كتاباته ترى أن الإنسان كائن مؤمن بالله، مستخلف على أمانته التي حملها، يستطيع إن يحقق توازنا حقيقيا على الأرض بين غاياته الروحية ومتطلباته المادية، يتجاوز بذلك ما يدعوا إليه النموذج المعرفي الغربي، يرتقي إلى بناء نموذج أكثر إيمانا ووعيا بنفسه وبيئته ومجتمعه .

¹المرجع نفسه، ص 326

خلاصة الفصل :

لم يقتصر نقد عبد الوهاب المسيري للنموذج الغربي على إيضاح وتبيان سلبياته وأزماته التي كانت سببا في جعله يخفق في تفسير الظاهرة الإنسانية، وفشل في تطور الإنسان وأبعاده الحقيقية، بعدما اختزله في الجانب المادي فقط وأهمّل الجانب الروحي فيه، ما أدى إلى غياب صورته الحقيقية في هذه الخريطة المعرفية التي ابتدعتها الحضارة الغربية الحديثة، وعملت على نشرها وترسيخها في أرجاء المعمورة لتهيمن على كل الأطراف والجوانب في العالم كله، وقد برز أثر المسيري في فهم ودراسة الظاهرة الصهيونية حيث صرف جهده في سلب الضوء على الكشف وإبراز مواطن الضعف والقصور في الخطاب العربي المعاصر في نظرتة إلى واقعه وإلى الحركة الصهيونية، فقام بملء الفجوة التي يعاني منها العالم العربي والإسلامي أثناء الحركة الصهيونية عبر سنوات مضت، وقام بإعادة تقسيم وفهم وإدراك جوهر الفكر الصهيوني في محاولة سابقة له لم يعدها المثقفين والمفكرين العرب والمسلمين من قبل، بل نقده للحضارة الغربية تعدى هذا كله نحو تقديم رؤية خاصة ونموذج بديل للنموذج الغربي، فحاول بناء مشروع يعكس معالم الخطاب الإسلامي الجديد، رغم أنه بقي قيد التأسيس ولم تتبلور نهايته بعد .



خاتمة



الختامة

استطاع المسيري أن يكشف جوانبا لطالما بدت غامضة في الفكر و حاول أن يبين أبعادها و مضامينها الخفية للمثقفين العرب و الشباب المنبهر بالحضارة الغربية و انجازاتها الضخمة وما تشهده من تطور علمي و تكنولوجي جعل وتيرة الحياة في تسارع أكبر من ذي قبل فكانت مساهمة المسيري في نقد الحضارة الغربية ذات قيمة وسط الساحة الفكرية، متجاوزا بذلك السطحية والتعميم الذي سقط في فخه الكثير من المفكرين العرب والمؤامرة التي يدفعون بها ذريعة الفشل في إيجاد حلول جذرية و عميقة تخرج الأمة العربية و الاسلامية من نكبتها، و تتطلع إلى مستقبل أكثر نورا و اشراقا. وكانت من أهم النتائج التي خلصنا إليها من خلال دراستنا كالتالي:

تميز المسيري بحسه الانساني الشديد، مما جعل طاقته الفكرية و الابداعية تركز بشكل أكبر على الانسان و ما يعاينه في ظل موجة التقدم الهائل للتكنولوجيا في الحضارة الغربية، كونه أكثر احتكاكا بها و بالإنسان الغربي بعد تبنيه الماركسية .

لم ينبهر المسيري بالحضارة الغربية و منجزاتها، لأنه يعتبرها نتاج الرؤية المادية التي هيمنت عليها، و استبعدت القيم الأخلاقية و الإنسانية ولم تلقي لها بالافكالفها فقدان ثمن القِيَم و المبادئ التي من المفروض أن يتحلى بها.

نحت المسيري ترسانة من المفاهيم والمصطلحات بالاستناد إلى المعجم والقاموس العربي خاصة أثناء ترجمة المفاهيم الغربية فهو لا يقبلها دون تحليلها و تمحيصها بشكل عميق.

إنَّ سعي المسيري بخطى حثيثة لإزالة الغشاوة التي أعمت بصيرة العرب والمسلمين إزاء الشعارات البرّاقة التي نادى بها الحداثة كونها تعمل جاهدة على إيجاد كل سبل الراحة و السعادة و الطمأنينة و الرفاه الاجتماعي الذي يطمح إليه الإنسان الغربي و حتى العربي، عبر تجميد الإنسان و إسقاط كل مله و دني و ديني، وهذا ما استفزّ المسيري، وينقد الحضارة الغربية بإبراز كل سلبيات تبني الفكر الحداثي الغربي جملة و تفصيلا.

الختامة

إن الحداثة الغربية تهدف للتغيير و التجديد المستمر من أجل الرقي و التطور و إلغاء كل ما هو قديم و نتيجة ارتباطها بالعقلانية بشكل كبير كان سببا في ظهور أزمات خطيرة انعكست على واقع الحضارة الغربية و العالم بأسره مما جعل بعض المفكرين و المثقفين يعيدون الحسابات في نتائج الفكر الحداثي و منهم المسيحي الذي وجه نقده اللاذع ووضح المأساة الانسانية نتيجة هذا كله.

إن النموذج المعرفي الذي يهدف إليه المسيحي هو إبراز حقائق وظواهر إنسانية مغايرة تماما لما هو مطروح في النموذج المعرفي الغربي، حيث تعمل على تنظيم معارفنا وإعادة هيكلتها من جديد و مختلف عما هو موجود في بقية النماذج الأخرى.

اختزلت الفلسفات المادية الانسان في بعده الطبيعي، وأسقطت عنه البعد الرباني، مما جعل الفلسفة المادية تخفق في تفسير الظاهرة الانسانية نتيجة اعتمادها على نماذج علمية دقيقة وأهملت التركيبية الانسانية أو السر الانساني الذي يميزه عم أي ظاهرة أخرى ، بل و نظرت إليه على أنه شيء كبقية الأشياء الأخرى و ما ينطبق عليها، ينطبق على الانسان نفسه.

أزالت العلمانية الشاملة قدسية الإنسان و طمست هويته و حولته إلى كائن مادي بحت لا يؤمن إلا بالقيم المادية و يلهث وراءها أملا في تحقيق السعادة المنشودة، وأفرغته من مضامينه الجوهرية التي يتسم بها عن بقية الكائنات الأخرى، و أصبح بلا هدف و لا معنى و لا حتى غاية لوجوده.

اشتغل المسيحي على دراسة الصهيونية و إزالة للبس و الغموض الذي يحيط بها و حاول تبسيط المفاهيم التي تروج لها الحركة الصهيونية وقادتها ، و يعد أول مثقف ومفكر عربي درس المشروع الصهيوني بشكل في سلسلة موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية و أول من تنبأ بنهاية المشروع الصهيوني وتفكك المجتمع الإسرائيلي.

يعتبر المسيحي أن التحيز حتمي وليس نهائي، فهو يعبر عن نموذج معرفي معين ويمكن تجاوز التحيز الغربي بالقدرة على الابداع و تفعيله و توليد معارف جديدة.

الـخاتمة

حاول المسيري التأسيس لمشروع بديل ينبع من الانسانية ومن الهوية الاسلامية بعد نقده للنموذج المعرفي الغربي ولكن لا يمكن الحكم على مشروعه بالفشل أو النجاح لأنه بقي قيد الانشاء ولم نشهد بلورته النهائية أو شكله النهائي، والسبب في ذلك وفاته عن عمر يناهز السبعين عاماً، ولم يستطع بذلك اتمامه .وهذا ما فتح المجال للتساؤل:

هل يمكن التأسيس الفعلي لنموذج اسلامي مناهض للنموذج الغربي؟



ملحق المصطلحات



- **الإثنينية:** تعني وجود طرفين مختلفين متضادين يتصارعان إلى أن يصرع أحدهما الآخر أو يستوعبه فتسود الواحدية. (المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة ص87)
- **الإله الخفي:** فالإنسان يؤمن بشكل واع بنموذج مادي، ويظن أنه قد تشربه تماماً حتى أصبح جزء لا يتجزأ من رؤيته ووجوده، ولكن هذا الإنسان الطبيعي المادي في ظروف معينة تفصح أقواله وأفعاله عن وجود شرع ما في أعماقه يتناقض مع الإطار المادي الواحد الذي تبناه، وحينها يبدأ في البحث عن المقدس داخل الطبيعة، وهذا محاولة للحفاظ على استقلاليته وكداسته وحرية دون التخلي عن الإطار المادي الذي تبناه. (عمرو شريف، مار رحلة عبد الوهاب المسيري الفكرية، ص161)
- **المطلق العلماني:** هو المركز الذي يتجاوز كل الأشياء ولا يتجاوزه شيء، وهو المبدأ الواحد والركيزة أو المرجعية النهائية والأنساق الفكرية العلمانية الشاملة قد تنكر أية نقطة مرجعية متجاوزة في هذه الدنيا، إلا أنها تستند إلى ركيزة أساسية ومرجعية نهائية كامنة في المادة، ولذا فهي مرجعية نهائية مادية تشكل مطلق هذا النموذج، فهي مطلق علماني. (المصدر نفسه ص472).
- **الترشيد:** عملية تزايد الضبط المنهجي على كل مجالات الحياة، على أساس تصورات علمية وقواعد ومبادئ عامة تستبد بالولاءات التقليدية والحماس الكارزمي والوسائل السحرية والمرجعيات المتجاوزة لعالم الحواس والمادة بل والمبادئ الفردية، بحيث يدرك الإنسان أن العالم يتحرك وفقاً لقوانين عقلانية مادية قابلة للاكتشاف، لا وفق قوى غامضة غير محسوبة مستعصية على الفهم، فالترشيد عملية شاملة. (مجلة الاستغراب العدد8).
- **اللاأدرية:** هم الذين يقولون بالتوقف بالحكم على أي شيء، لأنهم يشكون في أي شيء وفي أنهم يشكون: (محمد جواد فغينة، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، مكتبة دار الهلال، دار الجواد، بيروت لبنان، د. سنة، ص 224).
- **التسليع:** مصطلح يشير إلى أن السلعة والعملية وعملية تبادل السلع هي نموذج كامل في رؤية الإنسان للكون ولذاته ولعلاقاته مع الفرد والمجتمع، وإذا كانت السلعة هي مركز السوق والخور

الذي يدور حوله، فإن التسلع يعني تحول العالم إلى حالة السوق، أي سيادة منطق الأشياء فلا يتجاوز السطح المادي وعالم الأشياء. (دراسات معرفية في الحداثة الغربية ص65).

- **التميط:** يطلق الاصطلاح على ظاهرة في الحضارة الغربية، وهي أن كثيرا من المنتجات الحضارية تصبح متشابهة وغطية بسبب الإنتاج الصناعي والسلعي الآلي الضخم، وهذا التمييط في المنتجات الحضارية يؤدي إلى التمييط في أسلوب الحياة العامة والخاصة، ويقضي الإنسان حياته في سلسلة محكمة من روتين يومي منظم بمواعيد دقيقة ومتتالية معروفة. (المسيري، اليهود واليهودية والصهيونية 271).

الشخصيات:

- **فريدريك نيتشه:** (1844,1900) فيلسوف ألماني في الثامنة عشر من عمره، فمر بمرحلة من التيه ثم خرج منها مشمئزًا و كارها، نال الدكتوراه في الفيلولوجيا من جامعة من جامعة بال، ومن خلال فلسفته دعا الإنسانية إلى تجاوز ذاتها و إدراك ما يجاوز الإنسانية ويقع فوقها وهو المنصور الذي يملك على حواسه ويكون سيدا لقيمه ويتحلى بإرادة حادة فيتعالى فوق ذاته لأنه لم يسعد بذاته و بالعالم. (روني ايلي، الفا: موسوعة أعلام الفلسفة، ج2، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1992، ص515)
- **كارل ماركس:** (1818,1883) فيلسوف و اقتصادي ألماني ،المنظر الأول للاشتراكية العلمية، درس الفلسفة و الحقوق وتوج بنيله شهادة الدكتوراه عام 1841، كما دخل عضوية حلقة الهيجلين اليساريين ودرس الاقتصاد السياسي الإنجليزي و الفرنسيين، ثم اتجه بعدها إلى بروكسل مع انجلز من أجل تشييد تصور مادي للتاريخ يشكل الدعامة النظرية للاشتراكية. (المصدر نفسه: ص419)
- **ومن مؤلفاته:** الأسرة المقدسة، صراع الطبقات في نقد الاقتصاد السياسي، نقد البرنامج الاشتراكي الديمقراطي، نقد فلسفة هيجل في الدولة. (جورج طرايشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، ط3، بيروت، 2006، ص618)
- **ميشال فوكو:** (1926,1984) مفكر فرنسي، حصل على شهادة التبريز في الفلسفة، درس في كلية الآداب في كليرمون فران ،من مؤلفاته :تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي (1961)ولادة العيادة (1963)ارادة المعرفة(1976). (جورج طرايشي: معجم الفلاسفة، ص469,470)
- **جاك ديريدا:** فيلسوف ألماني ،ولد 1930 بالأبيار قرب الجزائر العاصمة، كان تأثير على الحركة الطلابية التي قامت بأحداث 1968 في فرنسا كما غرف بفيلسوف النزعة المضادة

للإنسانية، ومن أكبر ممثلي التفكير لأسس و ركائز العقل الغربي، أو التمرکز الذاتي للعقل،
ناقدًا للميتافيزيقا الغياب، توفي في 2004.

من أهم مؤلفاته: الكتاب و الاختلاف، الصوت و الظاهرة ،هوامش الفلسفة. (كميل الحاج:
الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مكتبة الناشرون، ط1، لبنان، 2006، ص223)

• **محمد حسنين هيكل:** من أبرز الصحفيين العرب و المعاصرين في القرن العشرين، ساهم في
صياغة السياسة العربية خصوصا في مصر، بدأ الاشغال في الصحافة عام 1942 وبعد ان
وصل لعامه الثمانين اعتزل الكتابة و المنتظمة و العمل الصحفي سنة 2003، ولكن لا يزال
يقوم بتحليل ودراسة تاريخ العرب المعاصر الوثيق الصلة بالواقع الراهن فهو يعرض تجربة
حياته في قناة الجزيرة الفضائية على شكل حلقات أسبوعية.

من أهم كتبه: ايران فوق بركان(1951)، قصة السويس الكبرى، آخر المعارك في عصر العمالة.



قائمة المصادر و المراجع

المصادر:

1. سوزان حرفي: الثقافة والمنهج (حوارات المسيري)، دار الفكر، ط2، دمشق، 2010.
2. سوزان حرفي: العلمانية والحداثة والعولمة (حوارات المسيري)، أفاق معرفية متجددة ، ط 1 دب 2013
3. عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، ط3، دمشق، 2010
4. عبد الوهاب المسيري، كافين رايلي: الغرب و العالم، تق: عبد السميع حجازي، عالم المعرفة ، ط1 الكويت، 1985.
5. عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، م1، دار الشروق ، ط1 ، القاهرة 2002 .
6. عبد الوهاب المسيري: اللغة و المجاز بين التوحيد و وحدة الوجود، دار الشروق ، ط1 القاهرة، 2002.
7. عبد الوهاب المسيري: دراسات معرفية في الحداثة الغربية، الغربية ، مكتبة الشروق الدولية، ط1، القاهرة، 2006
8. عبد الوهاب المسيري: الصهيونية و النازية و نهاية التاريخ، تق: محمد حسنين هيكل، دار الشروق ط 1 ، القاهرة، 1997.
9. عبد الوهاب المسيري: اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1999.
10. عبد الوهاب المسيري: تحافت مفهومات العلمنة في العالم العربي، 8، السنة الثالثة 2017 المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ، دب.
11. عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية البذور والجذور والثمر، سيرة غير ذاتية غير موضوعية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، القاهرة، 2000.
12. عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية البذور والجذور والثمر، سيرة غير ذاتية غير موضوعية ، دار الشروق، ط4، القاهرة، 2009.

13. عبد الوهاب المسيري، الهوية والحركة الإسلامية، تح: سوزان حرفي، دار الفكر، دمشق، 2010.
14. عبد الوهاب المسيري، مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي، دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا، 2003.
15. المسيري: الايديولوجية الصهيونية دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، عالم المعرفة، الكويت، 1982.
16. المسيري: الصهيونية و العنف ... من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى، دار الشروق، ط2، القاهرة، 2002.
17. المسيري: العالم من منظور غربي، دار الهلال، دط، الكويت، 2001.
18. المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر، دمشق، 2003.
19. المسيري: اليهود و اليهودية و الصهيونية، م6، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1999.
20. المسيري: حركة الإستنارة وتناقضاتها، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1999.
21. المسيري: من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية، مطبوعات درة، ط1، القاهرة، 2002.
22. المسيري: من هو اليهودي؟، دار الشروق، القاهرة، 2002.
23. المسيري: اشكالية التحيز رؤية معرفية ودعوة للاجتهد، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط1، الأردن، 1995.
24. المسيري، الدفاع عن الإنسان، دراسات تطبيقية ونظرية في نماذج مركبة، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2003.
25. المسيري، الفردوس الأرضي، دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكية الحديثة، المؤسسة العربية للدراسات، ط1، بيروت، 1979.

26. المسيري، قضية المرأة بين التحرير... والتمركز حول الأنثى، نخضة مصر، ط2، القاهرة، 2010.

المراجع:

1. أبو زيد محمد المكي، ظاهرة الصراع في الفكر الغربي، بين الفردية والجماعية، مركز تأهيل للدراسات والبحوث، ط1، السعودية، 2008.
2. أبو فتح محمد عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تح: إبراهيم شمس الدين، مؤسسة الإعلام للمطبوعات، ط1، بيروت، لبنان، 2006.
3. أحمد عبد الله بن إبراهيم الرئيس: العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، ج4، مكتبة البيان ط1، 1998.
4. اسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، مكتبة وهبة، ط2، القاهرة، 1988.
5. حجاج أبو جبر: هل يمكن أسلمة المعرفة "قراءة في استقبال عبد الوهاب المسيري"، منتدى العلاقات العربية والدولية، 19/5/2015.
6. حسين مؤنس: الحضارة، عالم المعرفة، ط1، الكويت، 1978.
7. رضا خرساني، حبيب الله البابائي: الحضارة والحداثة في الفكر العربي المعاصر، تق: حسين صافي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، بيروت، 2004.
8. الرفاعي سميرة عبد الله، المؤثرات الفكرية وسبل مواجهتها التيارات الداروينية الإجتماعية، وقيم ما بعد الحداثة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، د.ط، الأردن، 2013.
9. سوزان عبد الله ادريس: مشكلة الانسان في فكر ألبير كامو، الهيئة العامة السورية للكتاب، دط، دمشق، سوريا، 2017.
10. طه عبد الرحمان: روح الحداثة المدخل لتأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2006.

مصادر و المراجع

11. طيب تزيني، على طريق الوضوح المنهجي، دار الفكر، ط1، لبنان ، 1989.
12. عامر عبد زيد الوائلي، هاشم العامري: نحن والغرب [1]، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1، دب ، 2017.
13. عبد المجيد الزنداني، التوحيد والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دار السلام، ط6، القاهرة، 2007.
14. عصام بهي: رسالة مسيرة للعودة إلى الذات، ضمن عالم عبد الوهاب المسيري (حوار نقدي حضاري)، م2، دار الشروق، ط1، 2004.
15. علي إبراهيم نملة: الموسوعات الفردية - المسيري أنموذجا - كتاب المجلة العربية، ط1، السعودية، 1432هـ.
16. علي صديقي: الأزمة الفكرية العالمية نحو نموذج معرفي توحيدى بديل، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة، الرباط، المغرب، 2015.
17. عمرو شريف: ثمار رحلة عبد الوهاب المسيري الفكرية، فرست بوك للنشر، ط3، القاهرة، 2014.
18. فؤاد سعيد: موسوعة المسيري وحكاياته... نص أم نص واحد (حوار نقدي حضاري، ضمن عبد الوهاب المسيري) تق: محمد حسين هيكل، تح: محمد عيد الحليم عطية، دار الشرق، القاهرة، ط1، 2004.
19. كريس سميث ريتشارد: انتحار الغرب ، تقر: محمد محمود التوبة، هيئة أبو ظبي للثقافة والنشر، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2009.
20. كمال عبد اللطيف: الفلسفة العربية المعاصرة، دار سعاد المصباح، ط1، الكويت، 1992.

21. مج أكاديميين عرب: الفلسفة العربية المعاصرة تحولات الخطاب من الجُمود التاريخي إلى مآزق الثقافة والإيديولوجيا، دار الأمان، ط1، الرباط، 2014.
22. مج من المؤلفين، العلمانية والسجلات الكبرى في الفكر العربي المعاصر، تق: بشير ربوح، ابن النديم، ط1، الجزائر، 2015.
23. مج من المؤلفين، عبد الوهاب المسيري في عيون أصدقائه ونقاده، تح: أحمد عبد الحليم عطية، دار الفكر، دمشق، 2007.
24. محمد جواد مغنية: مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار جواد، دط، لبنان، 2007.
25. محمد عمارة: الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2003.
26. مرزاق أحمد "النموذج المعرفي و نموذج المسيري الحضاري" في كتاب المسيري في عيون أصدقائه و نقاده، دار الفكر، ط1، دمشق، 2007.
27. ممدوح الشيخ: من المادية إلى الإنسانية الإسلامية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، بيروت، 2008.
28. نادية رفعت، النماذج الإدراكية والنموذج الانتفاضي، (حوار نقدي حضاري)، ضمن عالم عبد الوهاب المسيري، تق: محمد حسين هيكل، تح أحمد عبد الحليم عطية، دار الشرق، القاهرة، ط1، 2004.
29. هشام جعفر: فقه التحيز أعلى مراحل التحرر المعرفي، ضمن عالم عبد الوهاب المسيري (حوار نقدي حضاري)، تق: محمد حسين هيكل، تح: أحمد عبد الحليم عطية، دار الشروق، م2، ط1، القاهرة، 2004.
30. هلال محمد جسارة: "العلاقة بين الدال و المدلول ووحشية النموذج المعرفي الغربي" ضمن عالم عبد الوهاب المسيري في عيون أصدقائه و نقاده، دار الفكر، دمشق، 2007.

المجلات:

1. أسامة أحمد جاسم: التفكير الثقافي النقدي (الثقافي، الحضاري، الأدبي) في أطروحة عبد الوهاب المسيري، جيل للدراسات الأدبية و الفكرية، الثالث، 26 يناير 2017، مركز جيل للبحث العلمي، لبنان
2. حنان مصطفى: نقد الحداثة الغربية بين المسيري و ماركوزة، أوراق فلسفية، 19، 2008، منتدى سور الأزيكية، مصر.
3. لندة واضح: نقد الحداثة الغربية في فكر المسيري، جيل للدراسات الأدبية والفكرية، الثالث، 26
- والفكرية، الثالث، 26 يناير 2017، مركز جيل للبحث العلمي، لبنان.
4. بو معقودة حفيظة: الإنسان بين الفلسفة المادية وفلسفة التجاوز، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، م2، العدد 5، جانفي 2018، الجزائر.
5. جواد الشقوري: الإضافات المسيرية النوعية للمشروع العربي الإسلامي، مجلة المسلم المعاصر، العدد 129، الثلاثاء 30 أيلول / سبتمبر 2008.
6. كمال حبيب: الفكرة الإسلامية وآفاق قبولها عند المسلمين، مجلة المسلم المعاصر، العدد 129، الثلاثاء 30 أيلول / سبتمبر 2008.

مذكرة :

برتيمة فاطمة، الرؤية النقدية للمسيري في إشكالية التحيز للحضارة الغربية - الحداثة نموذجاً - لنيل شهادة الماجستير، محمد نور الدين حباب، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009

الموسوعات:

- أندري لالاند: الموسوعة الفلسفية، م1، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 2001
- عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ط2، بيروت، 1993
- منير البعلبكي: موسوعة المورد العربية، ج2، دار العلم للملايين، ط1، دب، 1990

الجرائد:

- محمد عبد القادر: عبد الوهاب المسيري يموت اليوم، يعيش غداً، الدستور، 11 يوليو 2008، 3:00 مساءً
- يحيى حسين عبد الهادي: المتحف المثل... عبد الوهاب المسيري، الأهرام، 46954، السبت 27 يونيو 2015، مصر

المواقع:

- موقع المسيري: www.elmssiri.com
- موقع فلاسفة العرب: www.arab.philosophers.com
- www.maghress.com

المعاجم و القواميس:

1. احمد الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط1، القاهرة، 1960.
2. جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط3، بيروت، 2006.
3. الفيروز الآبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط8، دب، 2005.
4. مراد وهبة، معجم فلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007.
5. منير بعلبكي، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، 1992.

المقالات:

1. المسيري، أسئلة الهوية، موقع الجزيرة نت، تاريخ النشر 2007/08/02،
<http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinion/2007/08/02>.
2. المسيري، الإمبريالية النفسية، موقع الجزيرة نت، تاريخ النشر، 05/04/2007
<http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinion/2007/04/05/>
3. المسيري، الأمركة والكوكلة والعلمنة، موقع الجزيرة نت، 2007/05/29.
<http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinion/2007/05/29/>.
4. المسيري، بين الإنسان الطبيعي والإنسان الإنسان، موقع islamonline.net تاريخ النشر
2014/04/28.
5. المسيري: الإنسان و الشيء، موقع عبد الوهاب المسيري تاريخ النشر 7/7/2009
6. <http://www.elmssiri.com/articlesview.php?id=50>